

تدبير عجل بنى اسرائيل الجديد

الدكتور

عبد الناصر توفيق العطار

أستاذ القانون المدنى
وعميد كلية الحقوق بأسيوط

- اليهود المغضوب عليهم
- العجلان معبودا بنى اسرائيل
- تتبير دولة اسرائيل

اهداءات ٢٠٠٢

الدكتور/ عبد الناصر توفيق العطار

كلية الحقوق اسيوط

تدبير عجلان بنى اسرائيل الجدير

الكتور

عبد الناصر توفيق العطار

أسناد الفنانين المذنب

رعمبد كلبه الحفوق الماسوط

- اليهود المغضوب عليهم
- العجلان معبودا بنى اسرائيل
- تنبير دولة اسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، كتب النصر لرسله وللمؤمنين ، فقال سبحانه : « إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » . وأشهد أن لا اله الا الله ، أمر بالجهاد لبحق الحق ويفطع دابر الكافرين والظالمين وكل فساد . وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ، خير من جاهد فى سبيل الله وأعظم من انتصر لله .

وبعد ، فما أنبه الليلة بالبارحة : قديما افتنن بنو اسرائيل بعجل جسد له خوار ، صنعه لهم السامرى ، فعبدوه من دون الله عز وجل . وحدينا افتنن الصهاينة بعجل جديد له ضجيج أسموه « دولة اسرائيل » أصبحت معبودهم الثمين .

وكما أحرق موسى عليه السلام عجل السامرى ونسفه فى اليم نسا ، قضى ربك أن يحرق المؤمنون عجل الصهيونيين وبنسفونه نسا ، فى يوم النصر الموعود « يوم استرداد المسجد الأقصى » . « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » وأنذرهم الى يوم الدين « وان عدتم عدنا » .

وفى هذا الكتاب ، نستعرض هذا القضاء من رب العباد ، الى بنى اسرائيل الذين ملأوا الدنيا بالفساد . فهيا الى الجهاد .

والله ولى المؤمنين الى يوم المعاد ...

ا . د . عبد الناصر توفيق العطار

الفصل الأول

فى

اليهود المغضوب عليهم

١ - اليهود الاسرائيليون (١) :

يتلو المسلم فاتحه الكتاب يومبا فى صلاته أربعاً وعشرين مرة على الأقل ، يطلب فى آياتها من الله عز وجل أن يهدبه الصراط المستقيم : صراط الذين أنعم الله عليهم ، « غير المغضوب عليهم » ولا الضالين .

(١) يبدو أن أصل تسميتهم باليهود كان على عهد موسى ، حيث عبدوا عجلاً من دون الله عز وجل فباعوا بغضب من الله . ولما أرادوا التوبة استغفروا الله وقالوا « إنا هدنا إليك » أى رجعنا إليك ، فسموا باليهود . وقيل انهم ادعون الله عز وجل بقولهم « ياهوه » فسموا باليهود . . . وقيل ان ملكهم ازدهر على يد داود وسليمان عليهما السلام وهما ينتميان الى قبيلة يهوذا ، ومن اسم هذه القبيلة سمووا يهودا . انظر محمد سبب طنطاوى فى رسالته بنو اسرائيل فى القرآن والسنة . ط ١٩٦٨ ج ١ ص ٧ وما بعدها .

أما أصل تسميتهم بنى اسرائيل فترجع الى أن أغلب اليهود من نسل يعقوب عليه الصلاة والسلام ، وكان يدعى باسرائيل ، ومن ثم فهم بنو اسرائيل . ويلاحظ أن اليهود ليسوا جميعاً من بنى اسرائيل ، لأن اليهودى هو من يعتنق الديانة اليهودية سواء كان من بنى اسرائيل أم من غيرهم . كما أن بنى اسرائيل لبسوا جميعاً من اليهود ، فأغلبهم من اليهود ، غير أن بعضهم أصبح مسدحاً وبعضهم أصبح مسلماً . . . غير أنه لما كان الغالب فى بنى اسرائيل أنهم أصبحوا يهوداً ، لهذا سمي الاسرائيليون اليوم باليهود ، كما يسمى اليهود بالاسرائيليين ، خصوصاً بعد أن اعتبرت دولة اسرائيل كل يهودى فى العالم اسرائيلياً ، أى له الجنسية الاسرائيلية ولو كان أمريكياً أو بريطانياً أو فرنسياً . . . الخ .

- ٦ -

وقد أجمع العلماء - عند تفسيرهم مصطلح « المغضوب عليهم » فى سورة الفاتحة ، على انهم اليهود الذين جحدوا نعم الله وعثوا فى الأرض مفسدين (٢) . ذلك أن الله تبارك وتعالى سبق أن أبغ نعمه على بنى اسرائيل ، ففضلهم على من عاصرهم من العالمين فى عهد موسى عليه السلام ، بأن بعثه فيهم ونجاهم على يديه من آل فرعون ، وأنزل اليهم التوراة أول كتبه الشاملة للعقيدة والشريعة ، ثم بعث فيهم عددا كبيرا من الأنبياء والمرسلين ، وتجاوز - سبحانه - عن عديد من كبائر سيئاتهم التى اقترفوها ، ... الى نعم أخرى كثيرة ... غير أن اليهود من بنى اسرائيل جحدوا كل النعم ، فعصوا الله عز وجل ، حتى انهم عبدوا عجل السامرى فى عهد موسى وهارون ! ثم سعوا فى الأرض مفسدين ، فقتلوا بعض أنبياء الله وشرعوا فى قتل بعضهم الآخر ، وحرفوا التوراة ، وأكلوا الربا ، واستحلوا كثيرا من المنكرات ، فاستحقوا لعنة الله وغضبه حتى تمبزوا بوصف « المغضوب عليهم » ، وهم يعيشون بهذا الوصف قلقين مضطربين ، مشتتين أو مهددين بالشتات ... الى يوم الدين .

قال تعالى : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل » (٣) . أى أن أشر أهل الكتاب جزاء

(٢) ففى تفسير الالوسى (المسمى روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) ط ١ سنة ١٣٠١ هـ ج ١ ص ٨٢ « والمراد بالمغضوب عليهم اليهود ، وبالأضالين النصارى . وقد روى ذلك أحمد فى مسنده ، وحسنه ابن حبان فى صحيحه : رفوعا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنه . وقال ابن أبى حاتم : لا أعلم فيه خلافا للمفسرين » .

(٣) الآية ٦٠ سورة المائدة . ومعنى « بشر من ذلك » أى بأشرف أهل الكتاب الذين ينكرون على المؤمنين إيمانهم ، ومنوبة هنا بمعنى جزاء سيئا ، على سبيل التهكم ، كما فى قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب اليم » . ويلاحظ أن من مسخ منهم قردة وخنازير ماتوا على ذلك دون نسل ، باعتبار المسخ عقوبة لا منة فيها بنسل أو غيره .

- ٧ -

عند الله ، هم اليهود من بنى اسرائيل ، فقد لعنهم الله وغضب عليهم ،
ومسخ بعضهم قردة وخنازير وجعل بعضهم عبد الطاغوت .

وقال سبحانه : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان
داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » (٤) . لقد لحقتهم اللعنة
بسبب عصيانهم واعتداءاتهم ، واستمرارهم على ارتكاب المنكر دون
استنكار لما يقتربون . فكان عدلا أن يعذبهم الله فى الدنيا قبل الآخرة .
« واذا تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ،
ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم » (٥) .

٣ - جحدوا نعم الله :

ما أقبح بنى اسرائيل . أفاء الله عليهم من نعمه الكبرى ، فما شكروا
وما أطاعوا ، بل جحدوا النعم ، وعصوا المنعم ، وعشوا فى الأرض
مفسدين .

لنتأمل معا سبعا فقط مما ذكره الله نبارك وتعالى فى قرآنه الكريم
من نعم كن منجبات لبنى اسرائيل من الهلاك التام ، فجحدوها وما
كانوا شاكرين (٦) .

(٤) الآيتان ٧٩ و ٨٠ من سورة المائدة .

(٥) الآية ١٦٧ سورة الأعراف .

(٦) انظر تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٧٦ وما بعدها ، وتفسير ابن كثير
ج ١ ص ٨٨ وما بعدها ، وتفسير النسفى ج ١ ص ٤٢ وما بعدها ، وتفسير
الجلالين ص ٨ وما بعدها ، وتفسير الألوسى ج ١ ص ٢١٠ وما بعدها .
ومحمد سيد طنطاوى فى بنو اسرائيل فى القرآن والسنة - رسالة بكلية
أصول الدين بالقاهرة - المرجع السابق ج ١ ص ٥١٢ وما بعدها .

- ٨ -

أولاً : جددوا نعمة النجاة من الابدادة فى عهد فرعون :

فقد عزم فرعون وحاشيته على ابادة بنى اسرائيل ، عندما علموا من الكهنة أنه سبخرج منهم رجل ينتهى على يديه ملك فرعون . وانعددت خطة نظام الحكم الفرعونى على ذبح كل مولود ذكر من بنى اسرائيل فبنتهى بذلك نسلهم ، كما يموت كبار السن فيهم ، فلا يبقى منهم أحد . لكن جرت سنة الله فى الكون على هلاك كل طاغية بآمر مما خطط ودبر . وبالتالي شاء الله عز وجل أن ينجى موسى عليه السلام ، وهو من مواليد بنى اسرائيل فى عهد فرعون ، بل وأن يجعل فرعون يتعهدده بالرعاية والعناية حتى بلغ أشده ، « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٧) ، ثم بعث الله موسى رسولا « اذهب الى فرعون انه طغى . فقل هل لك الى أن تزكى . وأهديك الى ربك فتخشى . فأراه الآتية الكبرى . فكذب وعصى . ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى . فأخذ الله نكال الآخرة والأولى . ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى » (٨) .

وتمت نعمة كبرى من ربك على بنى اسرائيل ، هى نعمة النجاة من الابدادة على يد آل فرعون ، اذ لولاها ما كان لبنى اسرائيل الآن وجود . قال تعالى : « واذا نجيناكم من آل فرعون يسوهونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » (٩) .

(٧) . ن الآية ٢١ سورة يوسف .

(٨) من الآيات ٢٧ - ٢٦ سورة النازعات . وطفى بمعنى بفى واعتدى رافد بسعبه الى ابادة جنس من أجناس البشر . وتزكى أى تطهر وسمى بنفسه نحو الكمال والمثل العليا . والآتية الكبرى هى عصاه التى دلتها فاذا هى حيه تسعى تلقف كل ما صنعه سائر السحرة .

(٩) الآية ٤٩ سورة البقرة . والملاحظ أن الله عز وجل عبر هنا عن الطغاة بقوله تعالى : « آل فرعون » اشارة الى أن نظام الحكم كله كان يتجه

- ٩ -

فهل شكر بنو اسرائيل لله نعمته . كلا ثم كلا ، ففد عبدوا عجلا صنما من دون الله ، صنعته لهم السامري ، وفن ان كان موسى عليه السلام ينعبد ليتلقى التوراة من ربه .

ثانيا : جحدوا نعمة النجاة من الغرق :

فقد ولى بنو اسرائيل هاربين من مصر ، ففوحثوا بأن البحر الاحمر امامهم وفرعون وجنوده خافهم . « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون . قال كلا ، ان معى ربي سيهدين . فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين . ان فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم » (١٠) . هكذا نجى الله عز وجل بنى اسرائيل المستضعفين من الغرق وهم يعبرون البحر ، فكانت هذه النجاة نعمة كبرى لولاها لما بقى أحد منهم حتى الآن ، بعد أن أحاط بهم الموت من كل مكان . « واذا فرقنا بكم البحر فأصبحناكم وأغرقنا آل فرعون وانتم نظرون » (١١) . فهل تكرر الناجون الله عز وجل على تلك النعمة ؟ كلا ... بل جحدوها ، قال تعالى : « وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون » (١٢) !! .

الى اباداة بنى اسرائيل . والتعبير بكلمة « آل » قبل اكتساف النظام الفرعونى اعجاز ، فقد تبين للمؤرخين فى عصرنا الحديث أن مصر كانت تحكم بما سموه « الأسرة » فنقرأ فى التاريخ الفرعونى عهد الأسرة العشرين مثلا ... والأسرة هى الآل .

- (١٠) الآيات ٦١ - ٦٨ سورة الشعراء . فانفلق أى انشق فسرنا - كالطود كالجبل او الكبرى وأزلفنا أى قربنا - ثم الآخرين هناك آل فرعون .
(١١) الآية ٥٠ سورة البقرة .
(١٢) الآية ١٣٨ سورة الاعراف .

- ١٠ -

ثالثا : جحدوا نعمة قبول توبتهم من عبادة العجل :

عرفنا أن بنى اسرائيل لم يشكروا نعمة نجاتهم من الغرق ونعمة نجاتهم من آل فرعون ، اذ طلبوا من موسى أن يجعل لهم صنما الها كما لغيرهم أصناما آلهة ، وما أن نركهم موسى أربعين ليلة ليتلقى التوراة من ربه حتى صنع لهم السامرى عجلا صنما عبده من دون الله ! وعاد موسى عليه السلام اليهم لينسف عجلهم وبأمرهم بتوبة نصوحا يهلك فيها بعضهم ، اذ لم يشأ الله عز وجل أن يهلكهم جميعا كما أهلك من قبل قوم نوح وعاد وثمود ، بل عفا عنهم ، نعمة مذه وفضلا . قال تعالى :
 « واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون .
 ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » (١٣) . لكن الجحود
 طبيعة فيهم ، فما أن سمعوا موسى عليه السلام يدعوهم - بعد ذلك - الى
 الجهاد فى سبيل الله بقتال الكفار لدخول الأرض المقدسة حتى « قالوا
 يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا
 ههنا قاعدون » ! (١٤) .

رابعا : جحدوا نعمة نزول التوراة :

كانت التوراة أول كتاب أنزله الله تبارك وتعالى شاملا للعقيدة
 وللشريعة . ومن قبل ، كانت تنزل بعض الرسائل كصحف ابراهيم
 عليه السلام .

وكل كتب الله جل علاه فيها النجاة من شرور الدنيا وعذاب الآخرة ،
 لأنها المنهج القيم الذى جعله الله لعباده هدى ونورا . تأمل من يعبدون
 الشمس أو البقر أو الاصنام ، كيف تاهت عقولهم ، وذلت أنفسهم لشمس
 نشرق وتغيب وتحجبها عنهم سحابة أو جدار أو أوراق أشجار ، أو يعبدون

(١٣) الأينان ٥١ و ٥٢ سورة البقرة .

(١٤) الآية ٢٤ سورة المائدة .

- ١١ -

بقرا له روث وهو حيوان بمرض ويموت ، أو يعبدون حمادات من الأصنام لا تنفع ولا تضر . . . وانظر الى من يعبدون الطغاة والجبابرة أو تخيفهم الأساطير . . . وانظر كذلك الى من تستعبدهم نظريات سيوعية أو رأسمالية أو وجودية . . . ثم بكتفون قصورها وعجزها عن تنظيم حياتهم . . ! ألا يفودك التأمل والتفكير الى استنتاج أنه لا يعلم ما يصلح الناس غير خالق الناس ورازقهم والمسيطر على كافة شئونهم والمهيمن على ما هم فيه من الكون ، ما عرفوا منه وما لم يعرفوا ؟! حقا في كتب الله ما يصلح شئون عباده ، ما لم تحرف .

ولقد أنعم الله تبارك وتعالى على بنى اسرائيل بكتاب من كتبه هو التوراة « واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون » (١٥) فبل شكروا هذه النعمة واحتدوا بها ؟ كلا . . . بل حرقوها وناحروا بها . . . وعصوا ربهم عصبا كبيرا (١٦) ! قال تعالى : « واذ أخذنا ميثاقتكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، فل بثما يأمركم به إيمانكم ان كنتم مؤمنين » (١٧) . وقال سبحانه « من الذين هادوا بحرفون الكلم

(١٥) الآية ٥٣ سورة البقرة .

(١٦) فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ، والنبي يسميها اليهود « التوراة » . أعاد أحبار اليهود كتابتها بعد وفاة موسى عليه السلام وعلى فترات من القرن التاسع حتى القرن الخامس قبل الميلاد ، كما أضافوا الى العهد القديم أسفارا أخرى تحكى تاريخ أنبياء بنى اسرائيل - جيد يس - أشار اليه : أحمد غنيم في رسالته موانع الزواج ص ١٥ هامس ١ ، ونروت أنس الاسيوطى في نظام الأسرة بين الاغصان والدين - الكتاب الأول ط ١٩٦٦ ص ١٣٧ .

(١٧) الآية ٩٣ سورة البقرة . ومعناها واذ أخذنا ميثاقتكم على العمل بما فى النوراة فأبىتم . . فرفعنا فوقكم جبل الطور لانذاركم باستطاعه عليكم ، أمرين لكم بأن تأخذوا ما آتيناكم بقوة أى بجد واجتهاد ، فرضتم حتى على الجبل الى مكانه ، فتلتم سمعنا وعصينا ، لأن قلوبكم سقت كبرا من عبادة عجل السامرى . تفسير الجلالين ص ١٤ .

- ١٢ -

عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا « (١٨) » فيما نقضهم
ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية بحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا
حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا
منهم « (١٩) .

خامسا : جحدوا نعمة احيائهم بعد موتهم بالصاعقة :

هناك فرق بين موقفين : الأول : عندما ذهب موسى عليه السلام
لتلقى التوراة ، حيث طلب من ربه أن بنعم عليه برؤياه . قال
تعالى : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك ،
قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ،
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك
تبت إليك وأنا أول المؤمنين » (٢٠) . والموقف الثانى : ما فوجئ به
موسى من قومه حيث رفضوا الايمان به حتى يروا الله جهرة ، قال تعالى :
« واذا قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (٢١) .

الفرق بين الموقفين واضح : طلب موسى هو طلب المؤمن المشتاق
لرؤية ربه ، الاكمل فى أن تحيط به أنواره ليستمتع بآلائه . بينما طلب
قوم موسى هو طلب العاصى المتعنت الذى يعلق ايمانه بالله عز وجل على
رؤيته سبحانه جهرة ، أى يريد أن يجعل الله جل شأنه موضع فرجة

(١٨) من الآية ٤٦ سورة النساء . والمتصود بالكلم هنا كلام الله
الذى أنزله فى التوراة . تفسر الجلالين ص ٧١ .
(١٩) من الآية ١٣ سورة المائدة . ويحرفون الكلم عن مواضعه ، أى
يحرفون كلام الله فى التوراة عن مواضعه التى وضعه الله عليها . ونسوا
حظا مما ذكروا به ، أى تركوا نصيبا مما أمروا به . نفسر الجلالين ص ٩٠ .
(٢٠) الآية ١٤٣ سورة الأعراف .
(٢١) الايتان ٥٥ و ٥٦ سورة البقرة .

- ١٣ -

وتسلية ! ويتجاوز قوم موسى فى هذا الطلب حدودهم ، فلا يستعملون مثلا لفظا من الفاظ العصبان ، وانما يستعملون صيغة الكفر ... « يا موسى لن نؤمن لك » وهم بذلك فى طلبهم رؤية الله تبارك وتعالى بنكرون ما رأوا من آياته الكبرى رأى العين فى عصا موسى ويده وانفراق البحر وعبره آمنين وغرق فرعون وجنوده ... الى غير ذلك من معجزات ، فاسنحقوا أن تاخذهم الصاعقة وهم ينظرون .

ثم توسل موسى لربه أن يبعث قومه فيحييهم بعد موتهم ، لعلمهم يشكرون . فهل شكروا الله على هذه النعمة ... ؟ كلا ... ثم كلا ، انهم لا يكفون عن اساءة الأدب مع الله ومع رسله ، وعثوا فى الأرض مفسدين . فقد زعموا أن الله فقير وهم أغنياء ، ونسبوا الى بعض الأنبياء الكفر والفسوق والعصيان ، ولم يبركوا وجها من وجوه الفساد الا اقترفوه ، واسودت قلوبهم فلم ينناهاوا عن منكر فعلوه .

سادسا : جحدوا نعمة اغاثتهم بالماء فى صحراء سيناء :

اشتد العطش ببنى اسرائيل وهم فى الصحراء ، فاستغاث موسى بربه فانعم عليهم باثنتى عشرة عينا من الماء . قال تعالى : « واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل أناس مشربهم . كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » (٢٢) .

آتاهم الله ببارك وتعالى الماء بغير مشقة ، عذبا مفسما بينهم بعدد أسباطهم الاننى عشر ، حتى لا ينشب بينهم نزاع عليه ، وهم فى شدة الحاجة اليه . فجحدوها نعمة لولها لهلكوا جميعا فى الصحراء ، اذ سعا فى الأرض بأشد الفساد !

(٢٢) الآية ٦٠ سورة البقرة . ومعنى تعثوا أى لا تفسدوا راغبين فى أسد الفساد . يقال عثى فلان فى الأرض اذا تجاوز الحد فى الانسداد الى غايته . تفسير ابن جرير ج ١ ص ٣٠٨ .

سابعاً : جحدوا نعمة تظليلهم بالغمام ومدهم بالمن والسلوى :

كان عيش بنى اسرائيل فى صحراء سيناء عقب خروجهم من مصر
كفيلاً بهلاكهم جميعاً ، حيث الشمس محرقة ، ولا ظل من شجر أو حضر ،
وحيث الأرض قفر فلا زرع ولا ضرع ولا طير .

ولكن الله بعباده رؤوف رحيم ، فأنعم على بنى اسرائيل بالغمام
يقيهم حر الشمس وبرودة الليل . كما أنعم عليهم بالمن والسلوى طعاماً
لهم . والمن مادة تسقط على التجر لها حلاوة العسل ، والسلوى جمع
ملواه وهو طائر يشبه طائر السمانى . قال تعالى : « وظللنا عليكم الغمام
وانزلنا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (٢٣) .

وكان فى المن والسلوى الغذاء الكافى لهم . ومع ذلك جحد بنو
اسرائيل هذه النعم ، قال تعالى : « واذا قلتم يا موسى لن نصبر على
طعام واحد فادع لنا ربك . يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ،
اهبطوا مصر ا فان لكم ما سألتم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا
بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢٤) .

٣ - لا شعب مختار عند الله . معنى تفضيل بنى اسرائيل على العالمين :

من يتأمل نعم الله تبارك وتعالى على بنى اسرائيل ، قد يتساءل :
لماذا هذا كله ؟ لقد أهلك الله عز وجل قبلهم الكفار من قوم نوح ، كما
أهلك عاداً قوم هود وثمود قوم صالح ، ولم يهلك سبحانه بنى اسرائيل
عندما عبدوا العجل أو قتلوا الانبياء ، وعصيانهم معروف وافسادهم

(٢٣) الآية ٥٧ من سورة البقرة .

(٢٤) الآية ٦١ من سورة البقرة . والبقل الخضروات ، والفوم

القمح .

مستمر عبر العصور والى يوم الدين ؟! بل نجده سبحانه يبعثهم بعد هلاكهم بالصاعقة ! وأكثر من ذلك ذكر أنه فضلهم على العالمين ، فقال جل شأنه : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنسى فضلتكم على العالمين » (٢٥) !! •

لقد رد اليهود على ذلك النساؤل بزعمهم أنهم شعب الله المختار ، وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ، ولقد صدقهم وجاراهم فى ذلك أكثر النصارى (٢٦) •

ونسى هؤلاء وهؤلاء سنن الله عز وجل فى الكون ، ومنها ما ورد فى قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون » (٢٧) وقوله عز وجل : « ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا اثما ، ولهم عذاب مهين » (٢٨) •

من سنن الله أن يبلو عباده بالخير ليشكروا ، ويبلوهم بالشر ليصبروا ، ثم يجزيهم على النكر وعلى الصبر خير الجزاء ، والا عذبهم أشد العذاب • ومن سننه سبحانه أن يزيد الكفار والأشرار من فضله فيمتدجهم بما آتاهم من ثراء وعدة وعدد وسلطة وأعوان ، ليزدادوا غرورا وظلما ، ثم يذيقهم من الذل والهوان ألوانا وألوان • لاحظ ذلك نبي الله موسى عليه السلام : « وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على

(٢٥) الآية ٧ سورة البقرة •

(٢٦) غير أن بعض النصارى ذهب الى أن اليهود كانوا شعب الله المختار حين نزلت التوراة ، وكان العالم غيرهم وثنيا • ثم بعد أن انتشر الإيمان بالله ، صار من غير المنطقى والعدل الإلهى أن يختص الله اليهود بذلك ، فمنع الله المختار الآن هم كل المؤمنين بالله ! •

(٢٧) الآية ٣٥ سورة الأنبياء •

(٢٨) الآية ١٧٨ سورة آل عمران •

- ١٦ -

أموالهم وأشد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » (٢٩) .

ولو كان تفضيل بنى اسرائيل على العالمين يعنى أنهم أفضل خلق الله أجمعين ، لكان هذا معناه أن الله سبحانه فضل عصاة بنى اسرائيل على الملائكة والأنبياء والمرسلين وهم من جملة العالمين ، وهو ما لا يقول به أحد .

ولقد رد الله عز وجل على الذين لم يفهموا حكمته فيما أنعم به عليهم بقوله : « وقالت اليهود والبصاري نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، واليه المصير » (٣٠) .

فتفضيل بنى اسرائيل هو تفضيل ابتلاء وليس تفضيل جزاء . هو تفضيل نعم أنعم الله بها عليهم ليحاسبهم ، وليس تفضيل قيم فيهم تستحق تكريمهم (٣١) .

ان الله عز وجل لم يجعل له شعبا مختارا ، ولو شاء سبحانه ذلك

(٢٩) الآية ٨٨ سورة يونس . وقد وضع الله عز وجل سنته الكونية فى الإبلاء بالنعم فى منحه قارون - راجع الآيات ٧٦ الى ٨٣ من سورة القصص .

(٣٠) الآية ١٨ سورة المائدة .

(٣١) سواء قيل بأن الله سبحانه فضل بنى اسرائيل على عالمي زمانهم ، بآثار ان الفضيل لا يكون الا بين موجود وموجود . (وهو الراجح عند المفسرين : انظر تفسير الرازى ج ١ ص ٣٥٥ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٨٨ و ج ٢ ص ٣٧ ، وبنو اسرائيل فى القرآن والسنة لمحمد سيد طنطاوى ج ١ ص ٤٤٦) أم قيل بأن الله سبحانه فضلهم على العالمين فى أمور محددة وضعها فى قوله تعالى : « اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين » من الآية ٢٠ سورة المائدة . وقوله تعالى : « ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين » الآية ١٦ سورة الجاثية .

- ١٧ -

لجعل الملائكة شعبه المختار ، لأنهم « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (٣٢) .

وحاشا لله جل شانه أن يظلم سائر عباده فيفضل عليهم بنى اسرائيل لأشخاصهم ، وهم بشر ممن خلق ، والفاعدة عنده سبحانه أن التفضيل بين البشر لا يكون الا بالتقوى . قال تعالى : « يا أيها الناس انا خلفناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (٣٣) . ولهذا فضل الله - جلّت حكمته - الأنبياء على سائر البشر فاصطفاهم لسلامة قلوبهم ونقاء سرائرهم وصفاء نفوسهم وسبقهم فى الخيرات . وجعل أوليائه عباده الموالين طاعنه الفارين من معصيته . وجعل حزبه المجاهدين فى سبيله ، المضحين بكل شىء ابتغاء مرضاته ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أو أموالهم ، أولئك حزب الله (٣٤) . فإين بنو اسرائيل العصاة المفسدين من ذلك كله ؟! . هل مع كل هذه المعايير ، يمكن أن يفترى أحد على الله كذبا ، فيزعم أن اليهود هم شعب الله المختار ، وهم عبدة العجل وقتلة الأنبياء وأكلة الربا وقادة المفسدين فى الأرض وأعلامهم ومخططيهم .!!؟ .

ان سياق الآيات القرآنية يؤكد أن تفضيل الله عز وجل لبنى اسرائيل كان تفضيل ابتلاء بنعم لا تفضيل جزاء لقيم ، فالله عز وجل بعد أن ذكر هذا التفضيل فى قوله تعالى : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين » (٣٥) أعقبه مباشرة بقوله تعالى : « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة

(٣٢) من الآية ٦ سورة التحريم .

(٣٣) من الآية ١٣ سورة الحجرات .

(٣٤) انظر الآية ٢٢ سورة المجادلة .

(٣٥) الآية ٤٧ سورة البقرة .

- ١٨ -

ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون » (٣٦) . أى يا بنى اسرائيل اتقوا يوم الحساب ، يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، فلا يغنى أحد أن يكون أبوه نبيا أو صالحا ، أو يكون هو من عشيرة أو قبيلة معينة أو من شعب معين ، ولا يقبل من أحد أن يشفع لأحد إلا باذن الله ، ولا يؤخذ من أحد فدية يعدل بها سيئاته ، ولا هم ينصرون فيمنعون من عذاب الله . وهذه كلها معانى واضحة تمام الوضوح فى أن الكل سواسية عند الله ، هم بنو آدم وآدم من تراب ، ولا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى ، فأين التفضيل بغير ذلك إلا أن يكون تفضيل ابتلاء فى الدنيا بالنعمة؟! وهو تفضيل يكون حجة على المبتلى به لا حجة له!؟ .

ان الله عز وجل عندما يذكر نعمه على بنى اسرائيل التى فضلهم بها على العالمين ، لا يدللهم بذلك ولا يعدهم خيرا ، وانما ينذرهم بها ويهددهم بوعيده ، ألا ترى أن أى حاكم يريد أن يشتد فى عقابه لأحد عماله ، يستدعيه ويذكر له أنه سبق أن أنعم عليه بكذا ، وفضله عن غيره بكذا وكذا ، فجدد نعمه وعمل فى غير طاعته ، فاستحق منه أشد العقاب . يؤكد ذلك قوله تعالى : « واذا تأذن ربك لبيعن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . . . » .

٤ - وعثوا فى الأرض مفسدين :

منذ أن انحرف بنو اسرائيل عن شريعة موسى عليه السلام ، وهم أئمة الفساد وقادة حزب الشيطان . كم ارتكبوا من آثام ، وسفكوا من دماء ، وهتكوا من أعراض ، وأكلوا بالباطل من أموال ، واقتربوا من خيانة ، واستمروا من منكر ، ونقضوا من عهد وميثاق . . . ! لا تستطيع أن تحصي لذلك عددا . . . فلا مناص من أن نضرب لهم مثلا ، نستعرض فيه من مظاهر افسادهم سبعا :

(٣٦) الآية ٤٨ سورة البقرة . وتفسير الجلالين ص ٨ - وعدل أى فدية تتعادل بها حسناته مع سيئاته .

اولا : قتلهم الأنبياء وذبحهم الأبرياء :

قتل اليهود عددا من الأنبياء أشهرهم يحيى عليه السلام ، وشرعوا فى قتل المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ، وذبحوا آلاف الأبرياء .
لقد أثبت اليهود أنه عندما تكون السلطة بأيديهم يصنعون بالناس ما صنع فرعون وهتلر فيهم .

فقدما كان أبو نواس من اليهود حاكما على اليمن ، فسار الى أهل نجران ، وكانوا من المؤمنين بالله وأن المسيح رسول الله ، فدعاهم الى اعتناق اليهودية ، فلما رفضوا حفر لهم أخدودا حرق فيه بالنار الآلاف منهم ، وهو ينظر اليهم يتسلى مع جنوده بتعذيبهم . وفيهم نزل قول الله تعالى : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » (٣٧) . وفى عهد الحاخام أكيبا ذبح اليهود مئات الألوف من المسيحيين عام ١١٥ م . وتكرر ذلك عام ١٣٥ م حيث ذبح اليهود عشرات الألوف من المسيحيين (٣٨) .

وحدثنا قتل اليهود آلاف الفلسطينيين الأبرياء ، فيما يربو على مائة مذبحه منذ قامت دولة اسرائيل (٣٩) . وفى تلك المذابح لم ينجو الأطفال

(٣٧) الآية ٤ - ٨ سورة البروج . وانظر تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٣٩٠ .

(٣٨) محمد نمر الخطيب فى حقيقة اليهود والمطامع اليهودية . ملحق مجلة الوعى الاسلامى عدد ٥٣ ص ٢٢ .

(٣٩) وفى كتاب : يا مسلمون اليهود قادمون . لمحمد عبد العزيز منصور ط ١٩٧٨ بيان تفصيلي عن مكان وتاريخ أربعين مذبحه ارتكبتها اليهود بفلسطين منذ ١٩٤٨/٤/٩ حتى ١٩٥٦/١٠/١٠ . وتشهد سجلات الأمم المتحدة ولجان حقوق الانسان بالكثير عن مذابح اليهود . وانظر وصفا لبعض هذه المذابح فى كتاب اليهود والجريمة لعبد المنصف محمود من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ط ١٩٦٧ ص ٧٢ وما بعدها .

- ٢٠ -

ولا النساء ولا الشيوخ ، بل يمثل اليهود بجثث ضحاياهم فيبقرون بطون النساء ، ويقطعون شيئاً من أطراف الاطفال والشيوخ وهم فى نشوة بالغة من السرور !! .

ومن الغريب أن تقضى طقوس طائفة من اليهود بضرورة ذبح أحد المسيحيين فى عيد الفصح عندهم ، مع خلط شيء من دمه بفطير ياكلونه فى هذا العيد . وانكشفت هذه الطقوس بعد ذبحهم الاب توما وخادمه سنة ١٨٤٠ م (٤٠) .

ولا يستحى اليهود من ذلك ، بل يعتبرونه قربى الى الله ، بعد أن حرفوا التوراة ووضعوا فى سفر التثنية عبارة تنص على أنه « وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما حية ، بل تحرمها تحريماً ، تبدها اباداً ، الحيثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحببيين واليبوسيين ، كما أمرك الرب الهك » (٤١) !! . فهل يأمر الله عز وجل شعباً بآباد شعب آخر ، وكلهم خلقه وعباده ؟! حاشا لله ، ان كافة كتبه التى لم تحرف تدعو الى السلام والرحمة والعفو عند المقدرة ، لكنها قلوب بنى اسرائيل المتوحشة التى قست كالحجارة ، بل هى أشد قسوة .

ثانياً : ايقادهم النار للحروب واثارتهم للفتن :

فى وصف مسلك اليهود ، ذكر الله تعالى فى قرآنه أنهم « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين » (٤٢) .

(٤٠) الكنز المرصود فى قواعد التلمود - ترجمة يوسف نصر الله

ص ٨٨ - ٢٠٤ .

(٤١) سفر التثنية الاصحاح ٢٠ رقم ١٦ و ١٧ .

(٤٢) من الآية ٦٤ سورة المائدة .

قديمًا نجح اليهود فى اشارة الفتن واشعال الحروب بين الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الفرعونية ، ثم بين الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية . وكانوا يثيرون الفتن بين الأوس والخزرج فى يثرب ، كما حرضوا المشركين على المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كاد المسلمون أن يهلكوا .

وحديثًا أشعل اليهود الفتن بين الشعوب تارة وبين الحكام أخرى . ورغم الضربات التى لحقتهم من بعض حكام أوروبا ، فقد استطاعوا السيطرة على صناعات القرار السياسى فى العالم الرأسمالى ووجهوه نحو الفتن والحروب . وانبثقت الشيوعية من فكر كارل ماركس اليهودى ، وقامت الثورة الشيوعية فى أكتوبر ١٩١٧ برئاسة مكتب شيوعى يتكون من أربعة عشر يهوديا وثلاثة آخرين من أصول يهودية متزوجين بيهوديات (٤٣) . واستخدم اليهود كلا من أقطاب العالم الرأسمالى والشيوعى فى اشارة الفتن والحروب فى العالم أجمع .

ثالثا : دأبهم على التجسس واقامة الجمعيات السرية :

دأب اليهود على التجسس وجمع المعلومات لاستخدامها فى اشارة الفتن واشعال الحروب . وتتخفى الصهيونية وراء لافتات كثيرة لجمع المعلومات ، منها مؤسسات تحمل أسماء علمية أو انسانية أو خيرية ... الخ ، وهى تحاول أن تجمع أكبر قدر من البيانات والاحصاءات من الوزارات المختلفة والجامعات . كذلك أنشأ اليهود جمعيات سرية كثيرة ،

(٤٣) ونقل احمد شلبي فى كتابه اليهودية ص ٢٨٨ عن مجلة الجامعة الاسرائيلية الصادرة فى ١٦ بولس ١٩٠٧ اعترافا بأنه « نصادف فى كل التغييرات الكبرى تنريبا عملا بيهوديا ، سواء كان ظاهرا واضحا أو خفيا سرا . وعلى هذا فالتاريخ اليهودى بمتد بامتداد التاريخ العالمى بجمع مجالاته ، حيث تغلغل فيه بآلاف الدساتس والمؤامرات ، أى مثل فيه اليهود دور السر ، دور اخوان الشياطين وحزب الشيطان .

- ٢٢ -

بل ونوادى لجمع ما يريدونه من معلومات ، وجعلوا لهذه النوادى أهدافا ظاهرها خدمة الانسانية ونشر الاخاء والمحبة ، وباطنها جمع ما أمكن من معلومات . وتختار الصهيونية لعضوية هذه النوادى من كان ذا منصب كبير أو متوسط ، أو كان من الراغبين فى مثل هذه المناصب ، بشرط ألا يكون للعضو مبول دينية . ويرحب فى هذه النوادى بمن كانت له ثقافة الحادية أو ضحلة عن الدين . ومن أشهر هذه النوادى نوادى الماسونية (٤٤) .

ولا يخفى أن اليهود كانوا فى كل حرب عالمية جواسيس لكل من المعسكرين المتحاربين .

رابعاً : نقضهم العهود والمواثيق :

أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل لا يعبدون الا الله ، فعبدوا العجل ، ثم اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله (٤٥) ! .

وأخذ الله ميثاق بنى اسرائيل لا يسفكون دماءهم ولا يخرجون أنفسهم من ديارهم ، فنقضوا ميثاقهم بأن انضم بنو قريظة الى الأوس فى حربها ضد الخزرج ، وانضم بنو قينقاع وبنو النضير الى الخزرج ، فأصبح الاسرائيلى يقاوم الاسرائيلى ، وهكذا سفكوا دماءهم وأخرجوا أنفسهم من ديارهم وهو محرم عليهم ، بينما افتدوا بعد ذلك أسراهم من الجانبين كما هو حكم الله عندهم فى الأسرى ، فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض (٤٦) ! .

(٤٤) ونشرت جريدة النور عدة تحقيقات تشير الى أن نوادى الليونز والروتارى من هذه النوادى ! .

(٤٥) انظر الآية ٨٢ سورة البقرة .

(٤٦) انظر الآيات ٨٤ - ٨٦ سورة البقرة . وبنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير طوائف من اليهود . والأوس والخزرج هم أهل يثرب (المدينة المنورة) .

وأخذ الله ميثاق بني اسرائيل أن يؤمنوا برسله ويعزروه ، فقتلوا بعضهم وخذلوه (٤٧) ! .

والمتتبع لتاريخ اليهود يجد أن نقضهم لعهودهم ومواثيقهم طبيعة في أكثرهم . قال تعالى : « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون » (٤٨) . والتعبير بـ (كلما) يدل على أن نبذ العهود متكرر منهم في كل زمان ومكان وأنه كالعادة فيهم (٤٩) .

وبسبب نقض اليهود عهودهم وغير ذلك من مفاسدهم غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا أليما قال تعالى : « فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم ، فاعف عنهم واصفح ، ان الله يحب المحسنين » (٥٠) .

خامسا : اشاعتهم الفواحش واستخدامهم السحر :

برع اليهود في اشاعة كل فكر يؤدي الى فساد البشر . فمن فكر

(٤٧) انظر الآية ١٢ سورة المائدة .

(٤٨) الآية ١٠٠ سورة البقرة .

(٤٩) محمد سيد طنطاوي في كتابه بنو اسرائيل في القرآن والسنة

ج ٢ ص ٣١ .

(٥٠) الآية ١٣ سورة المائدة . فنقض الميثاق ترتبت عليه اللعنة وقسوة

القلوب . ولعنة الله لليهود تعنى ابعادهم عن رحمته ، وجعل قلوبهم قاسية يعنى جعلها لا تلدن لقبول الايمان حتى تلقى العذاب الاليم ، وبالتالي حرفوا في النوراة ونسوا نصيبا مما جاء بها ، ولا يزال المسلمون ، بل والعالم أجمع ، يطلع على خيانة منهم الا قليلا منهم باقون على العهد يستحقون العفو والصفح عما يصدر عن الغالبية ، لأن نقض العهد والمواثيق يؤدي الى الفتنة ، والفتنة شرها نعم الجميع ، من نقضوا العهد ومن لم ينقضوها ، فكان في استثناء من لم ينقض العهد من شرورها ما يؤكد تقدير المسلمين لهؤلاء .

كارل ماركس الشيوعى الى فكر دوركيم الانحلالى ، الى فكر فروبند
الجنسى ، الى فكر سارتر الوجودى الحيوانى . الخ . الى التغلغل فى
كافة وسائل الاعلام ، والنوادر ، وأماكن الفسق والفجور ، وتكوين كوادر
هدفها ضياع الشباب .

وعلى الرغم من أن السحر كان معروفا فى عهد الفراعنة وبلغ ذروته
فى عهد موسى عليه السلام ، الا أن تسخير الله عز وجل الجن لسليمان
عليه السلام ، جعل كثيرا من اليهود يزعم أن سليمان عليه السلام كان
ساحرا واتهموه بأنه كفر فى أخريات حياته ، بينما هو نبي معصوم
مات على الايمان الكامل (٥١) . على أن هذا الزعم جعل فريقا من
اليهود يتجه الى استخدام السحر لتسخير الجن ، ولا زال أشهر المنجمين
من اليهود وقد استطاع هؤلاء المنجمين أن يؤثروا على كثير من زوجات
الحكام ويدفعوهم الى كثير من الظلم والطغيان والافساد .

سادسا : تعاملهم بالربا وسيطرتهم على أهم المصارف والمؤسسات المالية :

ابتدع اليهود المصارف لنشر التعامل بالربا ، واستطاعوا عن طريقها
السيطرة على أهم المؤسسات المالية والتحكم فى كثير من المؤسسات
الاقتصادية ، ثم أذلوا بها كثيرا من الشعوب والحكومات وهم يزعمون أن
الله عز وجل أباح لهم أموال غيرهم بأخذونها بغير سبب شرعى ما
أمكنهم ذلك . قال تعالى : « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ،
ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون » (٥٢) . ذلك أن الله عز وجل حرم فى جميع

(٥١) وانظر الآيتين ١٠٢ و ١٠٣ سورة البقرة والتعليق عليهما فى
تفسير الجلالين ص ١٥ .
(٥٢) الآية ٧٥ سورة آل عمران .

شرائعه أكل أموال الناس بالباطل ، وجعل أداء الأمانة من أوجب الواجبات ، ولكنه الشره اليهودى والابنزاز .

سابعاً : محاولاتهم افساد الأديان والمثل العليا :

خطط اليهود للسيطرة على العالم . وفى سبيل الوصول الى ذلك ، زين لهم الشيطان أن يفسدوا كل دين غير دينهم وأن يتركوا فى المثل العليا . وقد أفصح البروتوكول السابع عشر من بروتوكولات حكماء صهيون عن ذلك ففيه ، « سنحط من كرامة رجال الدين لننجح فى الاضرار برسالتهم ، ولن يطول الوقت الا لسنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً ، وستتبعها فى الانهيار باقى الأديان ، ويعير ملك اسرائيل « بابا » على العالم « !! » .

كذلك أثار اليهود نظريات تحيى النعرات الاقليمية والقومية ، وتدعو الى فصل الدين عن السياسة وفصل الاخلاق عن الاجتماع ، وسخروا من كل تراث وأشاعوا روح الاستخفاف به . وأعطوا شهرة زائفة للملحدين والمخذلين وأصحاب البدع .

وقد أنشأ اليهود جمعيات سرية كتيرة لهدم المسيحية ولهدم الاسلام .

فمن جمعياتهم التى تستهدف هدم المسيحية جمعيات : فرسا - المعبد - القداس الاسود - الصليب الوردى - البناء الحر (الماسونية) .

ومن محاولاتهم هدم الاسلام تظاهر عدد الله بن ساء باعتناق الاسلام حتى قضى على الخلافة الاسلامية فى الفتنة الكبرى بمقتل عثمان بن عفان ونشوء النزاع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، رضى الله عن الصحابة أجمعين . وتظاهر جماعة الدونما فى تركيا باعتناق الاسلام حتى قضوا على الخلافة الاسلامية فى عهد السلطان عبد الحميد . هذا

الى جانب العديد من الاتجاهات الفكرية المنحرفة التى يروجون لها كالبهائية وغيرها (٥٣) .

وقد سجل القرآن الكريم من طبائع اليهود أنهم يلبسون الحق بالباطل ، وأنهم يكرهون أن بنال المسلمون خيرا ، كما دأب فريق منهم على تحريف كلام الله . قال تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » (٥٤) . وقال سبحانه : « أفنتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (٥٥) . كما قال جل شأنه : « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » (٥٦) . حقا « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ، ان الله على كل شىء قدير » (٥٧) .

(٥٣) ويعقد اليهود باستمرار مؤتمرات لمناقشة المراكز الدينية المسيحية والاسلامية وتأثيرها على سياسات البلاد الموجودة بها ، قرب - محمد أحمد محمود حسن فى اليهودية التبشيرية فى الكتب المقدسة ص ٧٧ و ٧٨ .

(٥٤) الآية ٤٢ سورة البقرة .

(٥٥) الآية ٧٥ سورة البقرة .

(٥٦) الآية ١٠٥ سورة البقرة .

(٥٧) الآية ١٠٩ سورة البقرة . ومعنى الآية أن اليهود من أشد الأعداء الذين لا يرجون خيرا للمسلمين ، وهم يسعون بحرص بالغ فى أن يجعلوا المسلمين كفارا بالله عز وجل ، حسدا لما اختص الله به المسلمين من رحمته . والمسلمون محبون لله يرغبون فى أن يكثر المؤمنون به ، لا أن يكفر به أحد . ومن كانت له هذه الرغبة فليصفح عن الحاسدين وبعفو عنهم حتى يأتى الله بأمره من اظهار للحق ونصرة أهله . « وفى أمره تعالى لهم بالعفو والصفح إشارة الى أن المؤمنين على قلوبهم هم أصحاب القدرة والشوكة ، لأن الصفح انما يطلب من القادر على خلافه ، كأنه يقول : لا يفرنكم أيها

٥ - سوء العذاب للعصاة من بنى اسرائيل :

قضى الله عز وجل على العصاة من بنى اسرائيل أن يذوقوا سوء العذاب فى الدنيا فقال تعالى : « واذا تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم » (٥٨) •

ولا شك أن الله عز وجل - العادل الغفور الرحيم - لا يقضى هذا القضاء المبرم ، ما لم يكن فى قلوب بنى اسرائيل من القسوة وفى طباعهم من الفساد وفى نفوسهم من الحقد ما يستوجب تأديبهم فى الحياة الدنيا ، الى جانب ما ينتظرهم من عذاب الآخرة •

والمتتبع لتاريخ بنى اسرائيل يجد أن الله عز وجل صدق وعده وأنفذ قضاءه بسوء العذاب على العصاة من بنى اسرائيل •

فمن شواهد سوء العذاب قديما أن الله عز وجل سلب على بنى اسرائيل العديد ممن دمر ديارهم وأخذ أموالهم وقتل منهم الكثير • ومن أشهر هؤلاء قديما سرجون ملك آشور الذى قضى على مملكة اسرائيل سنة ٧٢١ ق • م • وبختنصر القائد البابلى الذى قضى على مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق • م • ودمر الهيكل وسبى جميع اليهود الى بابل ، فتم القضاء على دولة اليهود فى العالم ولم يعد لها وجود فى الشرق حتى عادت فى

المؤمنون كثرة أهل الكتاب مع باطلهم ، فانكم على قلتكم اقوى منهم بما انتم عليه من الحق ، فعاملوهم معاملة القوى العادل للقوى الجاهل • وفى انزال المؤمنين على ضعفهم منزلة الاقوياء ، ووضع أهل الكتاب على كثرتهم موضع الضعفاء ايدان بأن أهل الحق هم المؤيدون بالعناية الالهية ، وأن العزة لهم ما ثبتوا على حقهم » • رشيد رضا فى تفسير المنار ج ١ ص ٤٢١ •

(٥٨) الآية ١٦٧ سورة الاعراف • وانظر فى التعليق عليها تفسير الجلالين ص ١٤٠ و ١٤١ •

العصر الحديث الى فلسطين (٥٩). ولما عاد فريق من اليهود الى اورشليم تحت الحكم الفارسي ، استعمرهم الاغريق فأذلّوهم (٦٠) ، ثم الرومان الذين ساموهم سوء العذاب (٦١) ، حتى ان الامبراطور هادريانوس أمر بقتل كل يهودي يعثر عليه في فلسطين ، وهدم أي بناء عليه علامة تشير الى الاسرائيليين ، وتغيير كل اسم يهودي للأماكن باسم روماني ، مع تدمير اورشليم مرة أخرى وانشاء مدينة جديدة مكانها وكذلك فعل الامبراطور هرقل .

واذا كان فريق من اليهود عاش في فلسطين آمنا فترة الحكم الاسلامي ، الا أنه عندما استولى الصليبيون على القدس عام ١٠٩٩ م طردوا اليهود منها وصادروا أموالهم .

أما اليهود الذي عاشوا في أوربا ، فقد كشف الله دسائسهم فأذاقهم الأوروبيون سوء العذاب . ففي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي أصدر فيليب أوجست ملك فرنسا مرسوما بطرد اليهود من سائر أنحاء فرنسا . وفي بداية القرن الثالث عشر الميلادي أصدر البابا روما أنوسنت الثالث أمرا يحتم على اليهود أن يضعوا على ملابسهم شارات يعرفون بها أنهم

(٥٩) وكانت مملكة اليهود قد تأسست برئاسة النبي داود عليه السلام ، ثم ابنه النبي سليمان عليه السلام ، وكلاهما دام حكمه أربعين سنة ازدهرت فيها المملكة . وبعد وفاة سليمان عليه السلام حوالى سنة ٩٧٥ ق . م ، انقسمت مملكة اليهود الى مملكة اسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة (نابلس) ، ومملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم (القدس) وقامت بين المملكتين منازعات طويلة حتى قضى سرجون على مملكة اسرائيل وبخنصر على مملكة يهوذا .

(٦٠) وبخاصة بطليموس خليفة الاسكندر سنة ٣٢٠ ق . م ، الذي أرسل منهم مائة ألف أسير الى مصر .

(٦١) ومنهم بامبيوس سنة ٦٣ ق . م ، ثم غابينيوس سنة ٥٧ ق . م ، ثم هيردوس سنة ٣٧ ق . م ، ثم تبطس سنة ٧٠ ق . م ، ثم هادريانوس سنة ١١٧ م .

يهود ، سخرية بهم وتحذيرا للمسيحيين منهم . وفى ذلك القرن الثالث عشر شكى الانجليز من حيل اليهود وغدرهم ، فأمر الملك ادوارد الأول بطرد اليهود من انجلترا فى غضون ثلاثة أشهر ، غير أن الشعب لم يصبر وأخذ فى قتل اليهود واحراقهم . كذلك تم التنكيل باليهود فى ألمانيا فيما بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر . وطرد الملك فرديناند اليهود من أسبانيا سنة ١٤٩٢ م . وتحددت اقامة اليهود فى ايطاليا فى حارة فى مدينة البندقية تسمى « بورجيتو » أى القرية الصغيرة ، ثم انتشرت فى أوروبا فكرة تحديد محل لاقامة اليهود . سُمى بالجيتو ، حتى أصبح الجيتو يعنى « الحى اليهودى » ، ثم طرد اليهود جميعا من ايطاليا عام ١٥٤٠ م (٦٢) .

ومن شواهد سوء العذاب حديثا : اضطهاد روسيا القيصرية لليهود ، خصوصا فى مذبحه عام ١٨٨١ م ومذبحه عام ١٨٨٢ م ، واحراق هتلر ألمانيا للكثير منهم . واذا كان بعض بنى اسرائيل قد تجمع الآن فى فلسطين وفى شىء ممن حولها ، فما ذلك الا لجولة جديدة يذوقون فيها من سوء العذاب ألوانا . وفى كتاب اليهود المقدس : « ويل للبنى مدينة بالدماء ، وللمؤسس قرية بالاثم » (٦٣) . وفى القرآن كتاب الله الذى لا ريب فيه ، قال تعالى « فاذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » (٦٤) .

-
- (٦٢) حسن ظاها فى الصهيونية العالمية واسرائيل ص ٥٧ - ٦٠ .
 - (٦٣) العهد القديم ص ١٣٣١ .
 - (٦٤) من الآية ٧ سورة الاسراء .

الفصل الثاني

العجلان

معبودا بنى اسرائيل

٦ - حذار ايها الاسرائيليون :

لا يذكر الله عز وجل شيئا في كتابه القرآن الكريم الا ليكون هدى للمؤمنين المتقين ، حتى لو كان هذا الشيء تاريخا مضى ، فذكره فى القرآن يعنى أن أحداثه ستتجدد ولو فى صورة أخرى ، فخذوا منه العبرة والحل ، لأن القرآن فيه ذكر ما قبلكم وحكم ما بينكم ونبا ما بعدكم .

من ذلك ما قصه الله عز وجل من سيرة فرعون ، وموسى عليه السلام .

انها قصة تبين أن الله جل شأنه قضى من سننه فى الكون أن يجعل لكل طاغية نهاية ، وأن نهايته تكون مؤلمة . ومن ثم فليذكر بنو اسرائيل اليوم فى فلسطين أن اضطهادهم لعرب فلسطين وطفغانهم له نهاية ، وأن نهايتهم أليمة .

وهى قصة كذلك تدل على أن عمليات ابادة الجنس لا يرضى الله عنها . لقد حاول فرعون أن يبيد بنى اسرائيل ، فجعل الله نهايته على يد واحد من بنى اسرائيل ظل يربيته ويرعاه فى قصره سنين عددا . لقد علم فرعون من كهنته أن ملكه سيزول على يد مولود ذكر من بنى اسرائيل . ورأى فرعون أن جانب الحذر يقتضى منه أن يذبح كل مولود ذكر من بنى اسرائيل خشية أن يعيش منهم من يذهب بملكه ، ويستحيى نساءهم اذلالا لهم ، ويقهر منهم من يلمس فيه اعتراضا أو يشم فيه رائحة من

قوة . فهل أغنى حذر من قدر ؟ وهل أفلح الطغيان ؟ .

قال تعالى : تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، انه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجعلوه من المرسلين . فالنقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرت عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ، ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته قصيه ، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه الى أمه كى تفر عينها ولا تحزن ولنعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون « (١) .

وتحكى نهاية القصة ما أصاب الطاغية فرعون ، فيقول سبحانه : « واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون . فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين « (٢) .

تأمل الآيات ، تجد الله عز وجل لم يذكر قصة فرعون فى القرآن الكريم لبيان أنها صراع بين الكفر والايمان ، وانما ذكرها ليكشف عن

(١) الآيات ٢ - ١٣ سورة القصص . ومعنى (لنبدى به) أى تذكر انه ابنها . ومعنى (قصيه) أى اتبعى أثره حتى تعلمى خبره .
(٢) الآيتان ٣٩ و ٤٠ سورة القصص .

- ٤٣ -

قضائه المبرم بمصرع الطغاة ، فلم يصف الله عز وجل فرعون هنا بأنه كافر ، وانما وصفه بأنه « علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، انه كان من المفسدين » ولم يذكر الله عز وجل فرعون فى مواضع أخرى فى القرآن الكريم الا مقرونا بأنه طغى « اذهب الى فرعون انه طغى » (٣) ، « اذهب الى فرعون انه طغى » (٤) ، « قالوا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى » (٥) . . . « وفرعون ذى الأوناد . الذين طغوا فى البلاد . فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . ان ربك لبالمرصاد » (٦) . ثم يفصح الله عز وجل عن قضائه المبرم للطغاة فيقول سبحانه « هذا ، وان للطاغين لشر مآب . جهنم يصلونها فبئس المهاد » (٧) . ويقول جل شأنه : « ان جهنم كانت مرصادا . للطاغين مآبا » (٨) .

من جهة أخرى لا يصف الله عز وجل بنى اسرائيل فى قصه فرعون بأنهم المؤمنون أو أنه فضلهم على العالمين ، أو بما زعموه بأنهم سبعة المختار ، وانما ذكر أن نجاتهم كانت بوصفهم أنهم من الذين استضعفوا فى الأرض ، ايذانا بأنه سبحانه مع المستضعفين المظلومين ضد الطغاة المفسدين .

وبالتالى ، فليستبشر عرب فلسطين المستضعفين المظلومين الآن ، فسينصرهم الله عز وجل على الطغاة من بنى اسرائيل ومن والاهم من

(٣) الآية ٢٤ سورة طه و ١٧ سورة النازعات .

(٤) الآية ٤٣ سورة طه .

(٥) الآية ٤٥ سورة طه .

(٦) الآيات ١٠ - ١٤ سورة الفجر .

(٧) الأيتان ٥٥ و ٥٦ سورة ص .

(٨) الأيتان ٢١ و ٢٢ سورة النبأ .

(م ٣ - تدمير اسرائيل)

طغاة الدول الاستعمارية • تلك سنة الله فى أرضه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا •

٧ - ماذا صنعت بكم أطماعكم وموسى بينكم ؟!

لقد رأى قوم موسى بأعينهم كيف آيده الله بمعجزات : أخرج يده فإذا هى بيضاء للناظرين ، وألقى عصاه فإذا هى حية تلقف ما يأفك الساحرون ••• ثم يضرب البحر بعصاه ، بوحى من مولاه ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، يعبرونه دون أن تبتل أقدامهم ، بينما يطبق نفس البحر على فرعون وجنوده فكانوا من المغرقين • فماذا حدث بعد ذلك ؟

نامل قوله تعالى : « وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون • ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون • قال اغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين » (٩) •

كان من المتوقع أن يستنكر بنو اسرائيل عبادة الأصنام وأن يتكروا الله تبارك وتعالى الذى بعث فيهم موسى عليه السلام ليكونوا الأمة المؤمنة بين سائر العالمين فى ذلك الوقت ، وأراهم آياته ونجاهم من الغرق وأهلك أمام أعينهم عدوهم فرعون وجنوده ! فإذا بهم يطلبون من نبيهم الذى يدعوهم الى عبادة الله وحده ، أن يجعل لهم صنما يعبد من دون الله ! انهم يسيئون الأدب مع الله ، كما يسيئون الأدب مع نبيهم ، فما أقبحهم •

(٩) الآيات ١٣٨ - ١٤٠ سورة الاعراف • ومنبر « مكسر مدمر » - البيضاوى ص ٢٢٠ ، و « التبار الهلاك • وكل اناء مكسر متبر : وأمر متبر » • القرطبى ٢٧٣/٧ • والمتصود بالعالمين هنا « عالمى زمانكم » القرطبى ٢٧٤/٧ والنسفى ٣٤/٢ • وراجع بند ٣ فيما سبق •

وانه لمسلك عجيب غريب ! قيل فى نعلبله ان أكثر قوم موسى كانوا - من قبل - يقلدون المصريين فى وبنينهم ، شان المغلوب فى نفليلد الغالب . وما أن شاهدوا غيرهم بعبد الأصنام ، حتى غلبت عليهم بلادة الطبع وطلبوا من نبيهم أن يجعل لهم صنما الها ! (١٠) وقبل ان حسد بنى اسرائيل لغيرهم جعلهم يلحون فى أن يكون لذبهم ما عند غيرهم ولو كان منكرا ! وكلا النعليلين يكسف أطماع بنى اسرائيل التى لا حد لها . فهم يطمعون أن يكون لهم ما لغيرهم ، خيرا كان أو سرا ، بل ويحسدون على غيرهم ويحسدونهم ، انهم يريدون أن يستحدوا على العالم أجمع ، ولو أصبحوا عبدا لأصنام . « وهكذا طبيعة بنى اسرائيل ما تكاد تهتدى حتى تضل ، وما تكاد ترتفع حتى نسط ، وما تكاد نسير فى طريق الاستقامة حتى نرتكس وننتكس » (١١) .

واذا كان موسى عليه السلام قد استنكر من قومه هذا الطلب العجيب بقوله « انكم قوم تجهلون » لأنكم لا بفرفون بين الهدى والضلال ، بين عبادة الله الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وبين عبادة صنم لا ينفع ولا يضر ، كما أنه عليه السلام حذرهم من ذلك عندما وصف العاكفين على عبادة الأصنام بأنه « متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » فقد ذهب استنكار موسى ونحذيره سدى . فقد عبدوا العجل فى حياته . وبعد سليمان عليه السلام عبدوا أصناما أخرى ! وفى عصرنا الحاضر عاش اليهود فى فلسطين آمنين فى ظل حكم المسلمين ، ثم

(١٠) عبد الوهاب النجار فى قصص الأنبياء ط ١٩٥٦ ص ٢١٠ ، واستدل على ذلك بقوله تعالى « فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفنهم ... » من الآية ٨٣ سورة يونس . على أساس أن الضمير فى ملئهم يرجع الى قوم موسى . بينما جمهور المنسربين على أن المقصود بقومه قوم فرعون . وبالتالي لا محل للاستدلال بهذه الآية فى هذا الموضع . وهذا لا ينفى عمى بنى اسرائيل فى التقليد .

(١١) محمد سيد طنطاوى - بنو اسرائيل فى القرآن والسنة -

المرجع السابق ج ٢ ص ١٣٩ .

طمعوا فى أن تكون لهم دولة كما لغيرهم دولة . وصور لهم هرتزل أن يقيموها من النيل الى الفرات ، فجعلوها عجلا جديدا يعبد من دون الله . فإلى أى مدى تذهب بهم أطماعهم ؟ لو كان موسى عليه السلام بينهم الآن لقال لهم انكم قوم تجهلون . نعم تجهلون ان أبناء العرب والمسلمين لن يرضوا بهلاكهم وتسريدكم على أيديكم ، ولابد أنهم مقاتلوكم دفاعا عن أرضهم وأعراضهم وأموالهم ، وأن ما تعكفون عليه من عبادة صنم جديد ، تسمونه دولة إسرائيل الكبرى ، أو عجل هرتزل ، مدمر أشد التدمير ، كعجل السامرى ، وباطل ما أنتم له عاملون .

٨ - هلا تذكرتم أسباب عبادة أجدادكم عجل السامرى ؟

ان فى التاريخ لعبرة ، فهل اعتبر الاسرائيليون به ؟ هل تجنبوا أسباب عبادة أجدادهم عجل السامرى ، وهم الآن يعبدون عجلهم الجديد الذى يسمونه دولة إسرائيل الكبرى ؟ كلا .

لقد تلقى موسى ألواح التوراة من ربه ، وقبل أن يرجع بها الى قومه ، أخبره سبحانه بما كان من قومه من عبادة العجل ، فقال جل شأنه : « وما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أشرى وعجلت اليك رب لترضى . قال فإننا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامرى » (١٢) .

فى هذه الآيات لخص الله عز وجل أهم أسباب عبادة بنى اسرائيل عجل السامرى ، وهى ثلاث :

أ - عجلة موسى عليه السلام : اذ ليس المقصود بسؤال الله عز وجل : « وما أعجلك عن قومك يا موسى » أن يعلم سبحانه اجابة موسى ، فهو سبحانه أعلم بموسى وبسبب عجلته ، ولكن السؤال فيه بيان لسبب من أسباب عمى بنى اسرائيل ، قادهم الى عبادة عجل السامرى . ذلك أن

قلوب قوم موسى لم يخالطها الايمان الكامل بالله عز وجل ، بدليل ما طلبوه منه من أن يجعل لهم الها صنما كما لغيرهم آلهة ، وكان هذا يقتضى من موسى أن يمكث فيهم أمدا يستقر معه ايمانهم . واذا كان سؤال الله عز وجل قد تضمن الاشارة الى أن فى العجلة الندامة ، الا أنه سيق بأسلوب فيه ملاطفة موسى عليه السلام .

ولم يجب موسى مباشرة عن أسباب عجلته ، وانما كان جوابه بمنابة اعتذار عن مفارقة قومه وتعظيم لجلال ربه . فقومه على أثره ، أى ينتظرون عودته (١٣) ، وعجلته ابتغاء مرضاة ربه ليتلقى التوراة عنه فيكمل بها الدين .

ب - فتنة الله لقوم موسى تمحيصا لقلوبهم : والفتنة اختبار وامتحان وابتلاء (١٤) . لقد سأل بنو اسرائيل موسى أن يجعل لهم صنما الها ، فزجرهم موسى عن ذلك . وقد جرت سنة الله فى الكون أن يمحس ما فى القلوب ، فيفتن الانسان ليشهده على نفسه . والفتنة قد تكون بالنعمة ليشكر أو يكفر ، أو بالنقمة ليصبر أو يجزع ، أو بالشك ليهتدى أو يضل . . . الخ . وكان أن فتن الله عز وجل قوم موسى فى غيابهم ليمحس ما فى قلوبهم ، ويشهدهم على أنفسهم ، فمنهم من نجا ، غير أن اكثرهم كان فى قلبه مرض الوثنية فهلك .

ج - وأضلهم السامري : الذى اتخذ علمه وسيلة للضلال ، فكان من شياطين الانس ، فجعله الله السبب المباشر لعبادة العجل . فقد كشف الله عز وجل للسامري أثرا من آثار جبريل عليه السلام ، كما كشف للعلماء

(١٣) وقد اختلف المفسرون فى القوم الذين سبقهم موسى ، السامريين ، فمنهم من رأى أنهم كل بنى اسرائيل زمن موسى (القرطبي ٢٣٢/١١) ومنهم من رأى أنهم السبعون رجلا الذين اختارهم موسى وخرجوا معه لبيقات ربه (النسفى ٦٣/٣) ويبدو أن الراى الأول أصح ، لأنه المعنى المتبادر الى الذهن والمستفاد من اطلاق لفظ « قوم » .
(١٤) القرطبي ٢٣٣/١١ والنسفى ٦٤/٣ والبيضاوى ص ٤٢٠ .

- ٣٨ -

الكهرباء أو المغناطيسية . الخ . فقبض السامري قبضة من هذا الاثر ،
لم يستخدمها في الخير ، وانما استخدمها في الشر . ألقاها على الحلى
التي أحرفها بنو اسرائيل لتكون عجلا جسدا له خوار ، يعبدونه من دون
الله ، فحقق بهذا أمل قومه في أن يكون لهم صنما كما لغيرهم آلهة من
الاصنام .

وما أسبه الليلة بالبارحة . ها هم الاسرائيليون اليوم يعبدون عجلهم
الجديد . يعبدون دولة اسرائيل الكبرى . وأصلهم هرتزل كما أضل
السامري قومه من قبل . لقد استغل هرتزل رغبة قومه في أن يكون لهم
وطن قومي كما لغيرهم وطن ، وزين لهم مع الحركة الصهيونية أن
يعتصبوا فلسطين . وشاء الله عز وجل أن يفتنهم - كما فتن أجدادهم من
قبل - ليحص ما في قلوبهم ويشهدهم على أنفسهم أنهم شر خلق الله ،
بما يرتكبونه في حق الفلسطينيين وغيرهم من قتل وتشريد ومكر وخديعة
. الخ . وظن أحبار اليهود أن في عودة قومهم الى أرض الميعاد
القديم ما يجعلهم شاكرين لله ملتزمين شرعه ، كما ظن ميسى من قبل
أن عجلته في تلقى النوراة فيها كل الهدى لقومه ، فإذا هم شباطين
الانس - قديما وحديثا - بوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا .
وهكذا اجتمعت في عبادة بنى اسرائيل لعجلهم الجديد ، الأسباب الثلاثة
المقابلة لأسباب عبادة أجدادهم للعجل القديم ، ولا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم .

٩ - دولة اسرائيل عجل جديد له ضجيج :

هل حققت دولة اسرائيل ما كان الاسرائيليون يصبون اليه ؟ لقد
كان هدفهم أن يكون لهم وطن . والوطن ليس مجرد المكان الذي يقيم
فيه النقص ، وانما هو المكان الذي يجد فيه الطمأنينة والأمان
والاستقرار والحماية الكافية وهدوء البال . فهل وجد الاسرائيليون في
فلسطين شيئا من ذلك ؟ كلا ثم كلا .

لقد صنع هرتزل مع زعماء الحركة الصهيونية دولة لها ضجيج وجلبة ، غير أنهم لم يروا في هذه الدولة طمأنينة ولا أمانا ولا سلاما ، فما أشبه دولة إسرائيل بعجل السامرى . لقد كان عجلا جسدا له خوار ، لكنه لا يحقق أمانهم ولا يهديهم سبيلا .

تأمل ما صنعه الصهاينة بدولة إسرائيل حديثا ، وما صنعه قوم موسى بعجل السامرى قديما .

قال تعالى : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا - اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط في أيديهم ورواوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » (١٥) .

كانت الحلى - التى صنع منها السامرى عجله - ملكا لقوم فرعون ، استعارها منهم قوم موسى قبل خروجهم أو أخذوها منهم بعد غرقهم ، على اختلاف الروايات (١٦) ، فأتار ذلك شبهة فى مشروعية تملك قوم موسى لهذه الحلى (١٧) ، فقدفوها فى حفرة للتخلص منها واحراقها ، فألقى السامرى عليها قبضة كان يحتفظ بها من أثر جبريل عليه السلام ، فصارت عجلا جسدا له خوار (١٨) ، افتتن به قوم موسى فعبدوه ! بل

(١٥) الأيتان ١٤٨ و ١٤٩ سورة الأعراف .

(١٦) القرطبي ٢٨٤/٧ .

(١٧) وقد وضحت ذلك آيات أخرى . قال تعالى : « فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم بعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يجل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى . قالوا ما أخلفنا موعداك بملكنا ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى » الأيتان ٨٦ و ٨٧ طه .

(١٨) قيل جسدا من الذهب خاليا من الروح - البيضاوى ص ٢٢٢ ، وقتل جسدا أى بدنا ذا لحم ودم - النسفى ٣٧/٢ ، ولم يرجع ابن كثير

- ٤٠ -

زعم أكثرهم أنه اله موسى . أتى اليهم ، بينما ذهب موسى يطلبه ونسى أنه سيحضر اليهم ! .

واستنكر رب العزة ذلك كله ، بقوله سبحانه « ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا » فالعجل لا يصدر منه غير الخوار ، ضجيج لا يفهمونه ، ولو كان الها لكلمهم وأفهمهم ما يريد ، ولو كان العجل اله موسى لآتاهم التوراة التي وعد موسى بها . . . ثم ان خوار هذا العجل وضجيج لا يهديهم سبيلا ، ولا يحقق لهم أمنا ولا طمأنينة ، ولا يقطع دابر خلافاتهم حول ما اذا كان هذا العجل اله موسى أم أنه ليس باله أصلا ، فقد أنكر هارون عليه السلام عليهم عبادته ، ولو كان العجل الها لهداهم في هذا الخلاف بعد أن ظهر بينهم جسدا له خوار ! أفلا يعتبرون ويتفكرون (١٩) . ألا يوقظهم هذا التفريع (٢٠) .

اتخذ قوم موسى العجل ، وكانوا ظالمين لأنفسهم ولغيرهم لأنهم استعبدوها لعجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، وظلموا موسى وهارون عليهما السلام بانحرافهم عن ارشاداتهما وهدابتهما ، وظلموا الله عز وجل فعبدوا غيره ولم يشكروا نعمه .

ولقد صنع بنو اسرائيل اليوم دولة لهم في فلسطين ، من أموالهم التي جمعوها من الربا ومن أموال غيرهم التي ابتزوها أو اغتصبوها وهم يعلمون أنها لا تحل لهم ، كما صنع أجدادهم من حلى غيرهم عجل السامري . وصور لهم زعماءهم أن هذه الدولة هي معبودهم ووعد الله

٢٤٧/٢ وما بعدها . أيا من هاتين الروايتين . والخوار صوت البقر . وقيل أنه ما كان للعجل صوت وإنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه ، فتحدث هذا الخوار .

(١٩) القرطبي ٢٣٦/١١ .

(٢٠) قرب البضاوى ص ٢٢٢ . ولكن غطى على بصائر بني اسرائيل

عمى الجهل والضلال - ابن كثير ٢٤٧/٢ .

- ٤١ -

لهم من قديم ! وأصابهم عمى البصيرة كما أصاب عبدة عجل السامرى من قبل . فقد أصبح لهذه الدولة وجود له ضجيج ، ففيها ما فى الدول الأخرى من أرض وشعب وحكومة ، إلا أنها لا تحقق لهم أمانا ولا سلاما ولا استقرارا ولا تجلب لهم رفاهية ولا ازدهارا ، وإنما هم فيها محاصرون يعيشون خائفين مرعوبين ، مهما امتلكوا من أسلحة نووية أو كيميائية أو بيولوجية أو تقليدية . ومهما كثر عددهم وتنوع عنادهم ، فهو كخوار العجل لا يكلمهم فيحقق لهم الطمأنينة والأمان ولا يهديهم سبيلا فبتعايشون مع غيرهم فى سلام . هم فى حرب على الدوام يشعلها قلقهم واضطراب أعصابهم وأطماعهم التى لا حد لها .

لقد اتخذ الاسرائيليون فلسطين وطننا لهم ، وكانوا ظالمين لأنفسهم ولغيرهم . ظلموا أنفسهم بهجرتهم إليها مخدرين بحلم مزعج لا استقرار فيه ولا هناء . فلو كانت فلسطين الوطن الموعود لما خرجوا من بلاد كانوا يعيشون فيها فى طمأنينة ورخاء الى دولة لا يجدون فيها غير الفلق والشقاء ، رغم أن الله تبارك وتعالى بارك فى خيراتها . وظلموا غيرهم فقد قتلوا أنفسا كثيرة فيها ومن حولها ، وشردوا أغلب طوائفها ، حتى غدا الفلسطينيون شعبا من اللاجئين ، وأشعلوا الفن فى داخلها وخارجها على سواء . وظلموا الله عز وجل بأن نسبوا اليه ما لم ينزل به سلطانا ، زاعمين أن حلمهم وحى منه ، وهو افتراء عليه سبحانه . لقد كتب الله لهم هذه الأرض زمن موسى عليه السلام ، فعصوا أمره ونكصوا على أعقابهم ، فعاقبهم الله عز وجل بالتية فى الصحراء أربعين عاما . ولم يرد عنه سبحانه أنه كتبها لهم فى العصر الحاضر ، أو أنه جل شأنه أمر بهذا الفساد الذى يمارسونه فى العالم أجمع ، قاله عز وجل لا يرد ظلما للعباد ، وينهى عن الكذب والفساد .

ولقد أدرك عبدة عجل السامرى هذه الحقائق ، بعد فوات الأوان ، بعد أن رجع اليهم موسى ، فتبينوا ضلالهم واتضح لهم عمى بصائرهم . قال تعالى : « ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ، قالوا لئن لم

- ٤٢ -

يرحمنا ربنا وبغفر لنا لنكونن من الخاسرين « (٢١) . أى كأن الندم أسقط فى أيديهم ، فلا يجدون فيها غير السراب . واشتدت الحسرة فى قلوبهم ، حتى قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بالهداية وبغفر لنا خطيئتنا لنكونن من الخاسرين » .

وهكذا حال الذين قدموا الى اسرائيل اليوم ليتخذوها وطنًا ومستقرا ، انهم يدركون الفرق الشاسع بين عيشهم السابق فى غير اسرائيل فى أمن وهناء ، وعيشهم فى اسرائيل فى قلق وشقاء ، ويتضح لهم عمى بصيرتهم وبتبينوا ضلالهم ، ويأسفون على تصديقهم زعماءهم فى عبادة عجلهم الجديد ، فلا يجدون دولة اسرائيل الكبرى الا حلما ان تحقق شيء منه فليس فيه الا السراب ، فلا هم آمنين مطمئنين ولا هم سعداء مرفهين ، وتشتد الحسرة فى قلوبهم ، وتضيق عليهم سبل الحياة ، وبكثر العداء حولهم ، حتى يقولوا لئن لم يرحمنا ربنا بالهداية ويغفر لنا ظلمنا لنكونن من الخاسرين .

١٠ - لقد فشل معكم كل المصلحين :

قديمًا عندما عبد قوم موسى عجل السامرى ، حاول هارون عليه السلام أن ينزيهم عن عبادته ، محذرا لهم من فتنته ، وموضحا لهم أن ربهم الرحمن الذى نجاهم من الغرق وأغرق عدوهم أمامهم . وألح عليهم أن يتبعوه وبطبيعوا أمره ، فعصوه مصرين على عبادة العجل حتى يرجع اليهم موسى . بل كاد فريق منهم أن يقتل هارون شأنهم فى قتل الأنبياء والمصلحين .

نأمل ما يقصه القرآن من كلام رب العالمين : « ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتكم به ، وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى . قال يا هارون ما

منعك اذ رأيتم ضلوا . ألا تتبعن ، أفعصيت أمرى . قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى » (٢٢) .

لقد كان عذر هارون أنه كان يخشى أن يقاتل عبدة العجل بمن بقى معه على الايمان فيتفرق بنو اسرائيل ، أو أن بلحق بموسى ليحضره بما حدث فيلحق به من بقى على الايمان بينما يتبع السامرى فريق آخر ، فيتفرق كذلك قوم موسى (٢٣) . فهذه اجتهاده أن ينتظر عودة موسى عليه السلام ، وهو لا شك سيعود اليهم بالتوراة كما وعده ربّه ، اذ « لا يخلف الله وعده » .

واليوم يظهر بعض المصلحين فى بنى اسرائيل ، يحذرونهم كما حذر هارون أجدادهم ، ويحاولون تسخيرهم وإيقاظهم من غفلتهم وأحلامهم دون جدوى ؟ وبعضهم يخشى أن يوضح لهم الحقائق حتى لا يتفرق الاسرائيليون . فهل ينتظرون عودة موسى عليه السلام لبجسهم رايهم ويوضح لهم طريقهم ، ويظهر لهم ما هم عليه من ظلم وضلال ؟!

لقد حرفوا التوراة من بعد موسى عليه السلام ، فذكروا فى سفر الخروج أن هارون عليه السلام هو الذى صنع العجل لبنى اسرائيل ليعبدوه فى غيبة موسى (٢٤) . وهو خبر مكذوب لأنه يتعارض مع كون

(٢٢) الآيات ٩٠ - ٩٤ سورة طه . ومعنى « أفعصيت أمرى ، أى خالفت ما أمرتك به عندما توجهت لنلقى التوراة » وقال موسى لأخيه هارون « اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تنبع سبيل المفسدين » من الآية ١٤٢ سورة الاعراف . قال هارون لموسى ما ابن ام ، خاطبه بأهه استعطافا وترفيقا . البيضاوى ص ٤٢١ ، وكان هارون شقيقا لموسى - القرطبى ٢٩١/٧ وابن كثير ١٦٣/٣ - وقيل كان أخا موسى لأمه . ومعنى « لم ترقب قولى » أى لم تحافظ على أمرى ووصيتى اذا تفرق بنو اسرائيل .

(٢٣) القرطبى ٢٣٩/١١ والبيضاوى ص ٤٢١ والنسفى ٦٦/٣ .

(٢٤) راجع العهد القديم - سفر الخروج - الفصل الثاوى والملائن .

هارون نبيا ، والأنبياء بعد بعثتهم معصومون ، ملتزمون بعبادة الله عز وجل واتباع أوامره ، فقد اختارهم الله 'الخبير الحكيم على علم ، وحاسا لله أن يسئ اختيار رسله وأنبيائه . ولهذا أكد الله عز وجل مرتين براءة هارون مما اتهمه به محرّفوا التوراة . وفى سورة طه ورد قوله تعالى : « ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به ، وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى » (٢٥) . وفى سورة الاعراف ورد قوله تعالى : « ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه ، قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » (٢٦) . فهل ننتظر ممن قتلوا فريقا من الأنبياء واتهموا الفريق الآخر بالكفر أو الفسق أو العصيان ، أن تنفعهم جهود المصلحين ونصح الناصحين ؟ !

١١ - احراق عجل السامرى ونسفه فى اليم ايزان بتدمير دولة اسرائيل :

سبق أن ذكرنا فى بداية هذا الفصل أن الله عز وجل ، لا يذكر شيئا فى القرآن الكريم الا لئلاخذ منه العبرة والحد عندما يتجدد ولو فى صورة أخرى ، لأن القرآن الكريم فيه ذكر ما قبلنا وحكم ما ببننا ونبا ما بعدنا .

(٢٥) الآية ٩٠ من سورة طه .

(٢٦) الآبتان ١٥٠ و ١٥١ سورة الاعراف . والمعنى أن موسى عليه السلام بعد أن علم من ربه أن قومه عبدوا العجل ، رجع اليهم غضبان أسفا ، فلما وصل اليهم وشاهدهم راكعين ساجدين للعجل استد به الغضب فآلقى ألواح التوراة وأخذ برأس أخيه يجره اليه فقد استخلفه فيهم ليصلح ، فاستعطفه هارون بأمه « يا ابن أم » وشرح له موقفه وطلب منه الا يشمت به الأعداء من عبدة العجل والا يساويه بؤلاء الظالمين ، وكلها دلائل على براءة هارون . القرطبى ٢٨٧/٧ والنسفى ١٥٨/٢ والبعضاوى ص ٢٢٣ وابن كثير ٢٤٨/٢ .

وقد حدثنا القرآن الكريم أن موسى عليه السلام بعد أن ثبتت له براءة أخيه هارون ، اتجه الى السامرى رأس الفتنه وقائد الضلال . « قال فما خطبك يا سامرى . قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى . قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس ، وان لك موعدا لن تخلفه ، وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسا . انما الهكم الله الذى لا اله الا هو ، وسع كل شىء علما » (٢٧) .

لقد حاكم موسى عليه السلام السامرى ، فاعترف السامرى بجرمه . اعترف بأنه استخدم علمه فى اضلال الناس ، فقد لاحظ السامرى فارسا لا يمر بشىء الا دبث فيه الحياة ، فعرف أن هذا الفارس هو جبريل عليه السلام ، وأنه الناموس الذى ينزل على موسى عليه السلام ، فقبض قبضة من أثره وألقاها على الحلى المذاب فى النار بعد أن صاغه عجلا ، فأصبح له خوار . وكان الاسرائيليون يتوقون الى صنم عجل يعبدونه كما لغيرهم أصنام . وسولت نفس السامرى الامارة بالسوء أن بجرب ذلك ، وشاء الله عز وجل أن يفتن هؤلاء جميعا ليمحص ما فى قلوبهم ويميز الخبيث من الطيب ، فاذا بالتجربة تسفر عن عجل جسد له خوار . لقد كشف الله للسامرى سرا من أسرار رسوله جبريل عليه السلام ، كما كتشف لغيره الكهرياء والمغناطيسية والطاقة النووية . . . ، فاستخدم السامرى علمه فى الشر والكفر والضلال لا فى الخير والهدى والايمان . فكان عاقبته فى الدنيا أن يعيش منبوذا ، لا يستطيع أن يخالط أحدا الا أصيب هو ومن خالطه بحمى شديدة ، مما جعله دائما يصيح فيمن حوله بالابتعاد عنه : لا مساس ، وله فى الآخرة موعد مع النار لا يخلفه . . . ألا لعنة الله على الظالمين .

(٢٧) الآيات ٩٥ - ٩٨ سورة طه . « قال الزجاج بصر علم ، وأبصر نظر ، أى علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل » . النسفى ٦٦/٣ - واليم هو البحر .

أما عجل السامرى ومعبود بنى اسرائيل الاول فقد أحرقه موسى
ونسفه فى اليم نسا .

وها هم الاسرائيليون اليوم يعبدون عجلهم الجديد . لقد قضى الله
عز وجل بفتنتهم بعد أن عثوا فى الأرض مفسدين بما صنعوه من
بروتوكولات صهيون ، ونظريات دارون وكارل ماركس وفرويد وغيرهم .
وأضلهم هرزل فزين لهم اقامة دولة اسرائيل الكبرى . وعميت بصائرهم
فهاجروا من بلاد عاشوا فيها فى استقرار وهناء ، الى فلسطين حيث
لا يجدون فيها غير القلق والشقاء . وظنوا أن اقامتهم لهذه الدولة هو
أمر خارج عن ارادتهم ، فهو وعدهم المكتوب ، وارتكبوا بسبب ذلك أبشع
الذنوب ، ولم يفتنوا الى أن حلم دولة اسرائيل الكبرى والسيطرة منها
على العالم هو ميعاد فسادهم العالمى الثانى ، وأنهم مهزومون به مشتتون
بأذن الله ، لأن الله لا يحب الفساد . وسنرى القرآن الكريم يذكرهم بأن
المؤمنين سيعودون الى تنبیر ما علوا حول المسجد الأقصى تنبيرا ، أى
سيعودون الى احراق عجل بنى اسرائيل الجديد ونسفه فى اليم نسا ،
« والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

الفصل الثالث

تتبير دولة اسرائيل (١)

١٢ - استعمار الصهاينة فلسطين :

لما اشتد اضطهاد أوربا لليهود المقيمين بها ، وسئم اليهود حياة العزلة التي عاشوها فى أحيائهم الخاصة التى سميت بالجيتو ، ظهرت الصهيونية كحركة تنادى باقامة وطن قومى لليهود على أساس عنصرى : وطن يضم اليهود دون غيرهم من شعوب الأرض (٢) . واستهدفت هذه الحركة استعمار فلسطين وما حولها من النيل الى الفرات لاقامة الوطن القومى لليهود ، على أن تكون عاصمته مدينة القدس .

وإذا كان نبي الله هارون عليه السلام قد حذر بنى اسرائيل فديما من عجل السامرى ونهاهم عن عبادته ، فقد ظهرت عند بنى اسرائيل حديثا آراء تحذر اليهود من استعمار فلسطين . فالبعض نادى بأن يندمج اليهود فى مجتمعات الدول التى يعيشون فيها ، والآخر دعا الى البحث عن أرض أخرى غير فلسطين يستطيع بنو اسرائيل تملكها دون أن ينازعهم

(١) التتبير معناه التدمير والهلاك التام . وتتبير دولة اسرائيل لا يعنى ابادة اليهود ، وانما يعنى زوال دولتهم وعودة فلسطين الى اهلها الفلسطينيين .

(٢) والصهيونية والصهاينة تسميتان تنسبان الى صهيون ، وهو اسم تل (جبل صغير) تقوم عليه مدينة القدس القديمة . وقيل انه كان حصنا احتله داود عليه السلام وامتدت من حوله عاصمة مملكته التى سميت باسم صهيون . وبدأت حركة الصهيونية فى القرن التاسع عشر ، دعا اليها جماعة من اليهود القاطنين بروسيا ممن عرفوا باسم الاشكنازيم ، وعقدوا لذلك مؤتمرا لهم فى بلدة كابوفيتز بالقرب من حدود روسيا عام ١٨٨٤ واخذوا تسعارا لهم باسم محبى صهيون .

فيها أحد ، تكون وطناً قومياً لهم (٣) . غير أن هذه الآراء ذهبت أدراج الرياح وسط الضجة التي أثارها دعاة الصهيونية باستعادة ملك إسرائيل القديم في فلسطين ! .

كذلك لا تزال طائفة من اليهود لا تقر الحركة الصهيونية على استعمار فلسطين ، وتنادى بانتظار ظهور المسيح عليه السلام ليعيد اليهود إلى فلسطين فيما تزعمه . ويعرف اتجاه هذه الطائفة من الناحية السياسية باسم حركة الأجودات أى حركة جماعة إسرائيل (٤) .

١٢ مكرر(١) - أسباب اختيار الصهاينة فلسطين لاقامة وطن قومي لهم :

كانت لدى دعاة الصهيونية أسباب كثيرة تحث بنى إسرائيل على استعمار فلسطين وطرد أهلها منها لاقامة وطن قومي لهم فيها ، ولعل أهم هذه الأسباب ما يأتى :

أولاً : أن بفلسطين أماكن مقدسة يمكن أن تجتمع حولها كلمة اليهود عند دعوتهم لأن يعيدوا ملك داود ونجمته السادسة وأن يبنوا هيكل سليمان . . . ورغم أن داود وسليمان عليهما السلام من أنبياء الله عز وجل

(٢) فقد ذكر بنسكر فى كتابه Auto Emancipation انه « يجب أن نجد وطناً لهذا الشعب حتى يكف عن النجوال فى العالم وحتى نعيد اقامة الأمة اليهودية . ولكننا قبل كل شئ يجب ألا نحلم باستعادة أرض يهوذا القديمة (فى فلسطين) . اننا يجب ألا نربط أنفسنا بالمكان القديم الذى تحطمت فيه حياتنا السياسية وتوقفت . ان هدفنا فى الوقت الحاضر يجب ألا يكون استعادة الأرض المقدسة انما نطالب بأرض لنا . . . أية أرض . . . اننا لا نريد سوى قطعة من الأرض ذات اتساع يستطيع أن يأوى اخواننا البؤساء ، قطعة من الأرض تظل ملكاً لنا ولا يستطيع أحد أن يطردنا منها » ملف وائق فلسطين ص ٦١ .

(٤) ولهذه الحركة أحزاب سياسية معروفة الآن فى دولة إسرائيل منها حزب أجودات إسرائيل وحزب يئارى أجودات إسرائيل .

ويؤمن بهما اليهود والمسيحيون والمسلمون ، الا أن الصهيونية جعلتهما أنبياء لليهود فحسب وجعلت ملكهما لبنى اسرائيل دون غيرهم ، وذلك لتستغل فى اليهود عاطفتهم الدينية وتزكى فيهم الاحساس بعنصريتهم وتعمق فيهم الشعور بأنهم شعب الله المختار !! ولا شك أن داود وسليمان عليهما السلام بريئان من هذه العنصرية ، فقد دعا كل منهما بدعوة كل نبى من المساواة بين البشر ، انهم جميعا من بنى آدم ، وآدم من تراب ، ولا فضل لأحد على الآخر الا بتقواه أى بايمانه وعمله الصالح .

ثانيا : أن فلسطين كانت بلدا يعيش فيه اليهود فى حربة وفى رغد من العيش وفى تسامح من حكامه المسلمين الذين كانوا يعبرون اليهود من أهل الذمة كالمسيحيين ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين . ورأى الصهاينة فى هذا التسامح فرصة تتيح لليهود فى غير فلسطين الهجرة إليها ، حتى اذا تكاثروا فيها طردوا أهلها منها .

ثالثا : أن الظروف السياسية داخل فلسطين وفتنذ كانت مواتيية لاستعمارها ، ففلسطين كانت ولاية عثمانية ، وكانت الامبراطورية العثمانية فى ذلك الوقت تحتضر كما كانت على خلاف مع العرب . ورأى دعاة الصهيونية استغلال ضعف الحكام العثمانيين وتعميق جذور خلاف العرب معهم للاستيلاء على فلسطين .

رابعا : أن الظروف السياسية خارج فلسطين فى ذلك الوقت شجعت على استعمارها ، فقد ظهرت مطامع الدول الأوربية فى احنلال أجراء من الامبراطورية العثمانية . وأوعز الصهاينة لهذه الدول الاستعمارية بأنهم أورييون مثلهم ، وأن اقامة دولة لاسرائيل فى فلسطين بشكل امتدادا لأوربا فى قلب الشرق العربى ، وبهذا أمكنهم السير فى ركاب الدول الاستعمارية والاستفادة من عونها الاقتصادى والعكرى وتأبيدها (م ٤ - تدمير اسرائيل)

- ٥٠ -

السياسى فى احتلالهم لفلسطين (٥) .

خامسا : أن استعمار فلسطين يمكن الصهاينة من التأثير على جميع الدول ويتيح الفرصة للسيطرة على العالم . وقد أكد ناحوم جولدمان ذلك عندما صرح بأنه « كان ممكنا لليهود أن يحصلوا على (أوغنده) أو (مدغشقر) أو غيرها من الأقطار ، لينشئوا فيها وطننا يهوديا ، ولكن اليهود لا يريدون على الإطلاق سوى فلسطين ، وليس ذلك لاعتبارات دينية ، أو بسبب إشارة التوراة الى فلسطين ، ولا لأن مياه البحر الميت تستطيع أن تعطى عن طريق التبخر ثروات لا حصر لها من حصيلة المعادن والأملاح المعدنية ، ولا (كما يقول دالمر) لأن تربتها الجوفية تحتوى على كميات هائلة من البترول . . . بل لأن فلسطين هى ملتقى الطرق بين أوروبا وآسيا وأفريقية ، ولأنها هى المركز الحقيقى للقوة السياسية العالمية والمركز الاستراتيجى للسيطرة على العالم » (٦) و (٧) .

(٥) فيذكر هرتزل فى كتابه الدولة اليهودية « سنعمل على أن نضل مرتبطين بكل أوروبا التى ستضمن بقاءنا » ملف وتائق فلسطين ج ١ ص ٨٣ . وفى رساله لهرتزل بتاريخ ١٢/٧/١٩٠٢ الى تشمبرلن وزير المستعمرات البريطانية يقول « الرجا ان يجد طيه ملخصا عاما لخطط لتسكين اليهود المشردين فى سبه جزيرة سينا وفى فلسطين المصرية وفى قبرص . وعندى الى جانب الناحية الانسانية غاية سياسية أيضا . . . ان توطىن اليهود شرق البحر الأبيض المتوسط سيقوى اماكن الحصول على فلسطين . وسيكون يهود الشركة الشرقية فى المستعمرة الانجليزية صهيونيين مخلصين تماما كيهود هيرئس المستعمرين فى الأرجنتين » ملف وتائق فلسطين ج ١ ص ١٤١ .

(٦) ونشرت هذه الكلمة فى صحيفة يونيتيه ناسيونال فى عددها رقم ٤ سنة ١٩٥٣ . سيد نوفل فى بحه عن الصهيونية وفلسطين - المؤتمر الرابع ص ١٥٤ .

(٧) فموقع فلسطين وما يأملون فى ضمه اليها من النيل الى الفرات « هذا الموقع المتفوق على ما عداه ، والمتميز عن سائر المواقع فى العالم »

١٢ مكرر (٢) - وزعم البعض أن الكتاب المقدس اعتبر فلسطين ملكا لبني اسرائيل ، فقد ورد بالعهد القديم أن الله عز وجل قال لابراهيم عليه السلام : « وأقيم عهدي بيني وبينك وبين سلك من بعدك ... وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكا أبديا » (٨) . ثم تحول العهد الى واحد من نسل ابراهيم هو اسحاق ، حيث ورد في العهد القديم أن الرب سبحانه قال له : « اسكن في الأرض النى أفول لك ... لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد ، وأفى بالقسم الذى أقسمت لابراهيم أبىك » (٩) . ثم تحول العهد الى يعقوب من نسل اسحاق دون أخيه الأكبر عيسو ، فقد ذكر العهد القديم أن الله بارك وتعالى ، قال لاسرائيل (وهو يعقوب) « والأرض التى أعطيت لابراهيم واسحاق - لك أعطيها ، ولنسلك من بعدك أعطى الأرض » (١٠) .

وقد لوحظ على هذه النصوص الآتى :

١ - أن هذه النصوص متحيزة ، فقد جعلت فلسطين فى البدايه لابراهيم ونسله ، وهم اسماعيل واسحاق . تم اخبثت اسحاق وبسله

سوف يجعل منا (اى الصهاينة) حين بمخر عباب البحر الاحمر اسياذ تجارة الهند والجزيره العربيه وجنوب افريقيا ومنسرقيا والجنسـه واثيوبيا . . ان قرب حلب ودمشق سوف يسهل بجارنا مع بلاد فارس ، وعن طريق البحر الأبيض المتوسط نستطيع انمامه الاتصالات مع فرنسا واسبانيا وايطاليا وسائر أنحاء القاره الأوروبية . ان بلادنا الواقعه ... فى مركز الوسط فى العالم سوف تصبح مركزا تجاريا لنوزيع السلع من كل المنتجات الفنية والثمينة على سطح الكرة الأرضية » رساله يهودى ايطالى الى الاخوان فى الدين سنة ١٧٩٨ - ذكرت فى ملف وثائق فلسطين ج ١ ص ٣٧ .

- (٨) سفر التكوين ، الاصحاح ١٧ رقم ٧ و ٨ .
- (٩) سفر التكوين ، الاصحاح ٢٦ رقم ٢ و ٣ .
- (١٠) سفر التكوين - الاصحاح ٣٥ رقم ١٢ .

بالأرض ، دون سبب مفهوم • ونسل اسحاق هم عيسو ويعقوب • ثم اختصت يعقوب ونسله بالأرض دون مبرر •

ب - أن العهد القديم ذاته يذكر أن كلا من ابراهيم واسحاق ويعقوب لم يملك شيئاً في فلسطين ، فلم تتحقق هذه العهود (١١) •

فعندما ماتت سارة زوجة ابراهيم عليهما السلام ، يذكر العهد القديم أن ابراهيم قال لأهل فلسطين « أنا غريب ونزيل عندكم ، اعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتى من أمامى » (١٢) • ثم لما مات ابراهيم عليه السلام دفن مع زوجته فى نفس المغارة التى دفنت بها ببلدة الجليل • وزرع اسحاق أرضاً فى فلسطين بورك له فيها ، غير أن ملك فلسطين أمره بعد ذلك أن ينرك الأرض ، فغادرها ومضى الى واد آخر (١٣) • وملك يعقوب حقلاً صغيراً فى فلسطين ثم رحل عنها الى مصر مع بنيه حيث مكث بنو اسرائيل فيها الى عهد موسى عليه السلام (١٤) •

ج - أن ما ورد بالعهد القديم سياسة أكثر منه عقيدة ، لقد « تحولت الوعود الالهية فى كتبهم تحولا جديدا مع مصالح السياسة ... فقد كان الوعد لابراهيم فحولوه الى اسحاق ليخرجوا منه أبناء اسماعيل ، ثم حولوه الى يعقوب ليحصره فى سلالة اسرائيل ، ثم حولوه الى ذرية داود ليحصره فى مملكة الجنوب دون مملكة الشمال ، وهكذا كان وعد صهيون وعدا سياسيا تابعا لمآرب الدولة ومآرب الهيكل الذى يقام فى جوارها ، فلا شأن له بالعقيدة التى تنتظم جميع سلالة ابراهيم » (١٥) •

-
- (١١) كمال أحمد عون فى مقاله اليهود من كتابهم المقدس أعداء الحياة الانسانية - كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر - المسلمون والعدوان الاسرائيلى ط ١٩٦٨ ص ١٨٨ •
- (١٢) سفر التكوين - الاصحاح ٢٣ رقم ٤ •
- (١٣) سفر التكوين - اصحاح ٢٦ رقم ١٢ - ١٧ •
- (١٤) سفر التكوين - اصحاح ٣٥ واصحاح ٣٧ •
- (١٥) عباس العقاد فى الصهيونية العالمية ص ١٢ •

د - ترك يعقوب (اسرائيل) عليه السلام ، حقله الصغير فى فلسطين ، وعاش هو وبنوه وسائر نسل بنى اسرائيل فى مصر الى عهد موسى عليه السلام . ولم يكن لبنى اسرائيل ملك فى فلسطين الا من عهد يوشع حتى السبى البابلى ، وهى مدة لا تزيد على أربعة قرون . ولو أخذنا بمنطق اليهود بأن هذه المدة تبرر تملكهم لفلسطين ، لكان من المنطق كذلك أن يعود العرب الى الأندلس لأنهم أقاموا فيها وحكموها ثمانية قرون ، كما يكون لليونانيين أن يطالبوا بامبراطوريتهم القديمة ، وكذلك الرومان والأتراك ، وهو منطق غريب (١٦) .

من ذلك كله يتبين أنه ليس فى نصوص كتاب اليهود المقدس ما يجعل لبنى اسرائيل حقا فى فلسطين .

كذلك ربما يقال ان القرآن الكريم فيه أن فلسطين لليهود ، فقد ورد به قول الله تعالى : « واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون » (١٧) .

(١٦) فى هذا المعنى - عبد النصف محمود فى اليهود والجريمة ص ١٠٥ و ١٠٦ .

(١٧) الآيات من ٢٠ الى ٢٣ سورة المائدة . وفى تفسر الجلالين ص ٩١ جعلكم ملوكا أصحاب خدم وحشم ، وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين من المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك . . . التى كتب الله لكم أمركم بدخولها . . ولا ترتدوا على أدباركم تنهزموا خوف العدو .

وفى تفسير الألوسى ج ٢ ص ٢٨٣ « الأرض المقدسة هى كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والسدى وابن زيد بيت المقدس . وقال الزجاج دمشق وفلسطين والأردن . وقال مجاهد هى أرض الطور ومسا

ولا حجة فى الآيات السابقة للصهيونيين ، لأن قول موسى عليه السلام : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم . . . » لا يعنى أن الله عز وجل قد جعل فلسطين ملكا لليهود ، وانما جعلها الأرض التى بفتحها يظهر دبن موسى عليه السلام وينتشر ، كما جعل مكة البلد الذى بفتحها يظهر دبن محمد عليه السلام وينتشر . وقد كان قوم موسى بعد خروجهم من مصر يعيشون فى صحراء سيناء لا يعرف أحد غيرهم دين الله عز وجل الذى بعث به موسى عليه السلام ، فكان أن كتب الله الأرض المقدسة لقوم موسى ليستقروا فيها ويظهر للناس الدين الجديد . ومعنى كتب هنا أى أمر وفرض عليكم دخولها ، كقوله تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » (١٨) .

فالأرض المقدسة لم تكتب لبنى اسرائيل على مر الدهر ، وانما كتبت لقوم موسى فحسب ، بدليل أن الله عز وجل لم يكتبها لبنى اسرائيل السابقين على موسى عليه السلام ، فهؤلاء عاشوا فترة بسيطة فى البدو ثم عاشوا فى مصر ، الى أن خرجوا منها فى عهد موسى عليه السلام . كما أنه لا يوجد نص فى التوراة أو الانجيل أو القرآن يدل على أن الله عز وجل كتب الأرض المقدسة لبنى اسرائيل بعد عيسى عليه السلام .

ومن يتأمل النص القرآنى سالف الذكر يجد أن دخول بنى اسرائيل الأرض المقدسة مشروط بإيمانهم بالله وطاعتهم لموسى عليه السلام

حوله . وعن معاذ بن جبل هى ما بين الفرات وعريش مصر . . . (التى كتب الله لكم) أى قدرها وقسمها لكم ، أو كتب فى اللوح المحفوظ أنها ستكون مسكنكم لكم وعن قتادة والسدى أن المعنى : التى أمركم الله تعالى بدخولها وفرضه عليكم ، فالكتب هنا مثله فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام وقيدوه بأن آمنتم وأطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليكم » .

(١٨) من الآية ١٨٣ سورة البقرة .

واتباعهم لشرع الله ، بدليل قوله تعالى : « ... ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » (١٩) . وقد حدث ذلك الارتداد بالفعل ، فقد جبنوا فى عهد موسى عليه السلام عن دخول فلسطين وعصوا أمره ولم يتبعوا شريعته ، فحكم الله عز وجل عليهم بالتية فى صحراء سيناء أربعين عاما ، وتاريخ بنى اسرائيل وكتبهم تذكر كذلك أنه لما عبد بنو اسرائيل الاوثان بعد سليمان عليه السلام وصنعوا الشر وبنكبوا الصراط المستقيم ، دمر الله ممالكهم وأهلك منهم الكثير وشرذ الباقين وشتتهم (٢٠) .

١٣ - هرتزل : السامرى الجديد :

لعب نيودور هرتزل فى استعمار فلسطين واقامة دولة اسرائيل ، دورا مماثلا لدور السامرى فى قديم .

فقد يما استغل السامرى آمال بنى اسرائيل فى أن يكون لهم صنما لها ، فصنع لهم عجلا جسدا له خوار ودعاهم الى عبادته ، فقالوا هذا الهنا واله موسى ، وأصبحوا عبيدا لعجل من الأصنام !!
وحديثا استغل هرتزل آمال اليهود فى أن يكون لهم وطن قومى ، فزين لهم استعمار فلسطين وطرد أهلها منها لتقوم دولة اسرائيل فيها ، عجلا جديدا لبنى اسرائيل ، عجلا جسدا له ضجيج (٢١) .

(١٩) وترتب الخسران على الارتداد دليل على أن كتب الأرض لهم مشروط بالجهد المترتب على الايمان . تفسير الألوسى ج ٦ ص ١٠٦ والفخر الرازى ج ٣ ص ٣٨٨ .

(٢٠) انظر مثلا العهد القديم - سفر اشعيا ٥٧ رقم ١ - ٧ وأخبار الأيام الثانى ١/٢٩ - ٢ و ١١/٣٦ - ١٤ .

(٢١) وفى يوميات هرتزل يوم ١٢ مايو ١٨٩٨ قوله « الضجة هى كل شئ . والحق أن الضجيج يؤدى الى الأعمال الكبيرة ، تاريخ العالم لا شئ سوى ضجيج ، ضجيج السلام والأفكار التقدمية » . اشار اليه سعد نوفل فى بحثه سالف الذكر ص ١٤٣ .

كانت الحركة الصهيونية قبل هرتزل مجرد حركة فكرية تدعو اليهود الى استيطان فلسطين . وقام هرتزل بتجسيد هذه الحركة فى صورة سياسية واجراءات تنفيذية ، بأن دعا الى مؤتمر لبحث خطوات العمل لاستعمار فلسطين ، ونشر فى ذلك كتابا سنة ١٨٩٦ م أسماه « الدولة اليهودية » . وفى عام ١٨٩٧ م عقد هذا المؤتمر بالفعل فى مدينة بال بسويسرا ، فعرف هذا المؤتمر باسم مؤتمر بال .

وقد انتهى مؤتمر بال بسويسرا الى اقرار غاية معينة ووسائل لتحقيق هذه الغاية . أما الغاية فهى انشاء وطن قومى لليهود ، على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين . أما الوسائل فتتلخص فى الآتى :

أولا : انشاء مستعمرات صهيونية زراعية وصناعية فى فلسطين (٢٢) . وهذا هو أسلوب كافة الدول الاستعمارية ، فهى تشجع رعاياها على مباشرة الزراعة والتجارة والصناعة فى البلاد التى تريد استعمارها - لا بهدف تنمية اقتصاديات هذه البلاد وانما - بهدف توطيد رعاياها فيها أو نزح ثرواتها خارجها ، ليكون ذلك خطوة وقاعدة لاستعمار هذه البلاد اقتصاديا ثم سياسيا ثم عسكريا . وأغلب ما هو موجود فى الدول الصغرى من مصارف (بنوك) للدول الكبرى أو مصانع أو أراضى مملوكة لرعايا الدول الكبرى ، انما هو قواعد للدول الكبرى لاستعمار هذه الدول الصغرى ، وان اتخذت أسماء وطنية أو عالمية ، أو كانت فيها مساهمة للدولة الصغرى لا تحول دون استنزاف هذه القواعد موارد هذه الدولة

(٢٢) ونجحت الحركة الصهيونية فى الحصول على تراخيص من الحكومه العثمانية بانشاء هذه المستعمرات الزراعية فى فلسطين ، نتيجة حاجة هذه الحكومة الى المال وتحت ستار تنمية الثروة الزراعية الفلسطينية ، كما يحدث الآن فى سائر الدول المتخلفة . وبعد أن وضعت فلسطين تحت الانتداب الانجليزى سعت الوكالة اليهودية الى التوسع فى شراء الأراضى من الفلسطينيين ، بل وكان كل من يرفض بيعها تنزع ملكيتها منه بحجة أنها لازمة للمنافع العامة .

الصغرى لصالح الدول الكبرى ، خصوصا فى ظل الاقتصاد الحر الخالى من الفيود النى تحافظ على مصالح الدول الصغرى ، وهكذا أنشأت الحركة الصهيونية بفلسطين البنك الصهيونى والصندوق القومى اليهودى والصندوق التأسيسى لفلسطين ، وشركة تطوير أراضى فلسطين ... الخ . وانتشرت المنعمرات اليهودية الزراعية والصناعية .

ثانيا : انشاء منظمات صهيونية محلية ودولية لضمان استمرار الحركة الصهيونية : وكان أهم هذه المنظمات الهيئة الصهيونية العالمية ، التى انبثقت عنها هيئة تشريعية سميت بالمؤتمر اليهودى العالمى ، وهيئة تنفيذية سميت بالوكالة اليهودية ، وهيئات مالية كالبنك الصهيونى والصندوق القومى اليهودى .

ثالثا : تقوية الفكرة القومية عند اليهود : فعد سعت الحركة الصهيونية الى استنهاض همم اليهود نحو انشاء دولة لهم تكون عاصمتها القدس ، لتقيم عرش داود عليه السلام ونعد بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى . وأنشأت الحركة الصهيونية جمعيات لترحيل اليهود الى فلسطين ، كجمعية صهيون (٢٣) . وسعت الى احياء الثقافة العبرية والمشاعر العنصرية اليهودية .

رابعا : اتخاذ ما يلزم من خطوات للاننفادة من أوضاع الدول المختلفة لخدمة أهداف الحركة الصهيونية . وقد عرض هرتزل والحركة

(٢٣) وكان عدد اليهود فى فلسطين اربعة وعشرين ألف يهودى سنة ١٨٨٢ فزادوا الى خمسة وثمانين ألف يهودى سنة ١٩١٤ - ثم سُجعت انجلترا هجرة اليهود الى فلسطين بعد أن وعدهم بلفور وزير خارجيتها ، بوطن قومى لهم فيها ، فزاد عددهم الى مائة ألف عند بداية انتدابها على فلسطين سنة ١٩٢٠ ، ثم زاد فى ظل انتدابها حتى وصل الى حوالي ٦٤٩٦٠ يهودى عند انتهاء الانتداب سنة ١٩٤٨ .

الصهيونية على السلطان عبد الحميد شراء فلسطين ، فرفض رغم ضعف حكومته وسوء أحوالها المالية ، وضغوط الوساطات الدبلوماسية الأجنبية (٢٤) . ثم سعت الحركة الصهيونية الى كسب عطف السدول الأوربية تحت ستار أن اليهود سيكفون درعا لأوروبا وحارسا لمصالحها فى الشرق وواجهة للحضارة ضد البربرية والتخلف فيه (٢٥) . وفى الحرب العالمية الأولى فر « حاييم وايزمان » (وهو يهودى من كبار علماء ألمانيا فى الكيمياء والصاعات الحربية) الى انجلترا ليبيع لها أسرار ألمانيا الحربية مقابل معاونتها للحركة الصهيونية فى استعمار فلسطين .

وقبلت انجلترا الصفقة وأصدر بلفور وزير خارجيتها وعده المشهور سنة ١٩١٧ م بتعهد بريطانيا بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . وما أن وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى سنة ١٩٢٠ م حتى انتشر نشاط المنظمات الصهيونية فى فلسطين . وفى سنة ١٩٣٧ م نادى الحركة الصهيونية بتقسيم فلسطين الى دولة اسرائيلية ودولة عربية ، ووافقت انجلترا على ذلك ولم تعدل عنه الا بعد نورة الدول العربية على هذا التقسيم . ثم استغلت الحركة الصهيونية الحملة الانتخابية لرياسة الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٤٤ وأيدت فيها ترومان مقابل أن يسعى

(٢٤) ودوثر عن السلطان عبد الحميد أنه قال : لا أبيع ولو قدما واحدا من البلاد ، لأنها ليست لى ، بل لنسعى . لقد حصل شعبى هذه الامبراطورية باراقة دمائهم ، وقد غدوها فيما بعد بدمائهم ، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا . . . لحفظ اليهود بملايئهم ، فاذا قسمت الامبراطورية فقد حصل اليهود على فلسطين بدون مقابل ، انما لن تقسم الا على جنثنا » . هرتزل فى مذكراته . ملف وثائق فلسطين ج ١ ص ٨٥ .

(٢٥) فقد كتب هرتزل فى كتابه الدولة اليهودية ص ٩٥ « سنعمل على أن نقيم فى فلسطين درعا لأوروبا فى وجه آسيا ، وحصنا متقدما للمدنية ضد البربرية والتخلف . وسنظل بوصفنا دولة محابدة ، على علاقات مستمرة مع أوروبا التى يجب أن تضمن لنا وجودنا » .

للضغط على انجلترا لتقيم دولة اسرائيل في فلسطين . وتمكن ترومان من اقناع انجلترا بانشاء جيش صهيوى في فلسطين الى جانب العديد من العصابات الصهيونية المسلحة فى الوقت الذى لم يسمح فيه بتكوين حى عربى بفلسطين ! ثم أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بتأثير الولايات المتحدة الأمريكية فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧ م قرارا بانهاء اللنداب البريطانى على فلسطين وتقسيمها الى دولتين احدهما لليهود والاخرى للعرب ، على أن تكون مدينة القدس مدينة محايدة تدار عن طرفين الأمم المتحدة ، وفى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ م أعلنت انجلترا انتهاء اندابها على فلسطين ، كما أعلن دافيد بن حورين فى نفس الوقت قيام دولة اسرائيل فى فلسطين تحت حماية الجيش الصهيونى . وثابت الحرب بين الدول العربية واسرائيل ، فأسرعت أمريكا وأوروبا الى عقد هدنة تليها هدنة حتى ينسى العرب حقوقهم فى فلسطين ، ثم أصدرت أمريكا وانجلترا وفرنسا فى ٣٠ مايو ١٩٥٠ م نعيذا نلنا يضمن الكيان الاسرائيلى فى فلسطين .

وقامت ثورات وانتفاضات فى العالم العربى وحركات يقطة على العالم الاسلامى كلها تؤذن بفرب طلوع الفجر الجديد ... ولا شك لدينا أن الصبح قريب .

١٤ - أحداث العصر الحاضر فى القرآن وبشراه بالنصر :

قال تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى شدة فاجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان احسنتم احسنتم لانفسكم ، وان أساتم فلها . فاذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا - وجعلنا جهنم للكافرين

حصيرا • ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين السذيين
يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » (٢٦) •

فى هذه الآيات من القرآن الكريم ، أخبرنا الله العزيز العليم بخبر
مضى ونبوءة نتحقق الآن (٢٧) • أخبرنا أنه ذكر سبحانه فى التوراة
وهى كتابه الى بنى اسرائيل ، أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين ويعلون
علوا كبيرا • فاذا جاء موعد المرة الأولى من افسادهم ، بعث الله عليهم
من عباده أناسا ذوى بأس شديد يخربون دولتهم ويجوسون خلال دبارهم •
وقد حدث هذا بالفعل عندما أغار البابليون على دولتهم بقيادة بختنصر ،
فأزالوا ملك بنى اسرائيل بفسطبن وخربوا هبكل سليمان عليه السلام
وسبوا منهم الآلاف ونفوهم الى بابل (العراق) • ثم رد الله عز وجل الكرة
لبنى اسرائيل عليهم ، وأمدهم بأموال وبنين وجعلهم أكثر نفيرا ،

(٢٦) الآيات ٤ - ٩ سورة الاسراء • وفى تفسير القرطبى ج ١٠ ص
٢١٤ وما بعدها : « علوا كبيرا ، أراد التكرار والبغى والطغیان والاستطالة
والغلبة والعُدوان ... عبادا لنا أولى بأس شديد هم أهل بابل ، وكان
عليهم بختنصر ... قاله ابن عباس وغيره ... ثم رددنا لكم الكرة عليهم
أى الدولة والرجعة ... وليتبروا أى ليدمروا وبهلكوا ... » وفى تفسير
الجلالين ص ٢٣٣ « الكتاب التوراة ... ولتعلن علوا كبيرا تبغون بغبا
مظيما ... وعند أولاهما أولى مرتى الفساد ... الكرة الدولة
والغلبة ... » وفى تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٥ « ويعلون علوا كبيرا أى
يتجبرون وبطغون ويفجرون على الناس » • وفى تفسير الألوسى ج ٤ ص
٤٧٧ الكتاب التوراة أو الجنس (أى اللوح المحفوظ) ... وفى ص ٤٨٠
« تنبيرا فظيلا لا يوصف » •

(٢٧) وهو ما تؤكد أصول التفسير من الرجوع الى الآيات القرآنية
الأخرى والأحاديث النبوية وقواعد اللغة العربية وأصول الفقه الإسلامى
... الخ ، كما تؤكد وقائع التاريخ الصحيحة التى بنطبق عليها أصول
التفسير •

وفى كتب التفسير آراء عديدة بهذا الشأن ، كان سبب اضطرابها وعدم
دقتها هو الأخذ بالروايات الاسرائيلية المتضاربة بهذا الشأن ، وعدم تتبع
الوقائع التاريخية ، والبعد عن أصول التفسير •

- ٦١ -

فأصبحوا ملوك المال وأصحاب المصارف (البنوك) وكثير من الشركات الكبرى ، كما سيطروا على وسائل الاعلام العالمية فكانوا أعلى صوتا ونفبرا . ولكنهم لن ينتقوا الله ولن يحسنوا ، بل يعودون للافساد العالمى للمرة الثانية الى درجة سيتمكنون فيها من هدم جزء من المسجد الأقصى ، وإعادة بناء شئ على أنقاضه . فاذا جاء وعد الله عز وجل بنصر المؤمنين ، فانه سبحانه سيبعث على بنى اسرائيل من يذيقهم كأس الهزيمة ، ويدخل المسجد الأقصى فاتحا منتصرا ، بعد تدمير ما علاه بنو اسرائيل على أنقاضه تدميرا كاملا ، ومسيطرا عليه الى يوم القيامة ، بحيث كلما فكر بنو اسرائيل فى العودة اليه عاد الله عز وجل الى نصره للمؤمنين .

وتؤكد هذا التفسير الشواهد الآتية :

أولا : أن افساد بنى اسرائيل مرتين ، مقصود به الافساد العالمى ، بدليل قوله تعالى : « لتفسدن فى الأرض » وكان يمكن أن يقتصر على قوله : لتفسدن مرتين ، ولكنه ذكر عبارة « فى الأرض » ليفيد عموم الافساد سائر أنحاء الأرض ، فهو افساد عالمى (٢٨) . ومن المعروف أن بنى اسرائيل لهم افسادات لا تحصى ، لكن الافساد العالمى لهم تحقق مرتين احدهما بعد انقسام مملكة سليمان عليه السلام ، والآخرى بقيام دولة اسرائيل الحالية ، كما يتضح من الآتى :

(٢٨) وليس دقيقا ما ذكره بعض المفسرين (تفسير الجلالين ص ٢٣٣) من أن المقصود بالأرض هنا أرض النعام ، باعتبار أنها الأرض التى كان يسكنها اليهود فى ذلك الوقت . وذكر الألوسى فى تفسيره ج ٤ ص ٤٧٧ أن المراد بالأرض الجنس (أى سائر الأرض) أو أرض الشام وبيت المقدس . والصحيح أن أرض الشام سبها القرآن « أدنى الأرض » فى سورة الروم ، ولأن لفظ الأرض فى سورة الاسراء عام ولا يقتصر على أرض معينة كأرض النعام ، أو أرض الجزيرة العربية كما ذهب بعض المحدثين . ولو كان المقصود أرضا معينة لذكرها أو لحذف عبارة « فى الأرض » فذكرها هنا بلفظ العموم يقصد به أن الافساد مرتين افساد عالمى .

١ - كان الافساد العالمى الاول لبنى اسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام ، فقد انقسمت مملكته الى مملكتين مملكة اسرائيل (وتغيرت عاصمتها أكثر من مرة) ، ومملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم (القدس) . وكان ملوك مملكة اسرائيل يخشون أن ينضم رعاياهم الى مملكة يهوذا التي بها اورشليم وفيها هبكل سليمان ، فصنعوا عجولين يعبدهما شعب مملكة اسرائيل ! ونظرا لحب بنى اسرائيل فى أن نكون لهم أصنام آلهة كما لغيرهم أصنام آلهة فقد صنع ملوك مملكة يهوذا كذلك لرعاياهم أصناما وضعوا بعضها على المرتفعات التى تطل على القدس وبعضها فى هيكل سليمان ذاته (٢٩) . واستد التنافس بين المملكتين وقامت بينهما حروب أدت الى حياكة الدسائس والمؤامرات لتأليب الممالك الأخرى المجاورة ، وانتشر فساد بنى اسرائيل فى المملكتين ، ثم فى الدول الأخرى بالوقية بين ملك آشور (العراق) وملك آرام (سوريا) وبين ملك آشور وفرعون مصر ، وبين بابل والفرس (٣٠) ، وكانت تلك الممالك هى معظم العالم المعروف فى ذلك الوقت ، فعم فساد بنى اسرائيل أرجاء الأرض ، وتنهت هذه الممالك الى ذلك فآغار سرجون الثانى ملك آشور على مملكة اسرائيل فازالها من الوجود حوالى ٧٢٢ - ٧٢١ ق م . وآغار نبوخذ ناصر (بختنصر) قائد بابل ثلاث مرات لتأديب مملكة يهوذا ، وفى الأخيرة دمر بختنصر اورشليم وأحرق هيكل سليمان عليه السلام وسبى من بقى حيا الى بابل ، فيما عرف فى التاريخ باسم السبى البابلى سنة ٥٨٦ ق م ، وزالت مملكة يهوذا ولم تقم دولة لليهود بعد ذلك ، الا فى العصر

(٢٩) وهذا ما يذكره كناهم المقدس ذاته . العهد القديم . أخبار الأيام الثانى ١/٢٩ - ٢ و ١١/٣٦ - ١٤ .
(٣٠) انظر محمد عزت دروزة فى تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ط ص ١٥٧ وما بعدها ، وشاهين مكاريوس فى تاريخ الاسرائيليين ط ص ٣٠ وما بعدها ، ومحمد أحمد محمود حسن فى المسجد الأقصى فى الكتب المقدسة ط ١٩٨٥ ص ٤٣ وما بعدها ، والمراجع التى أشار اليها .

الحاضر (٣١) .

ب - وأما الافساد العالمى الثانى فبدأ بمؤتمر بال بسويسرا الذى خطط لقيام دولة اسرائيل الكبرى لتكون مركزا للسيطرة على العالم كله ، كما توضح ذلك التعاليم التى وضعها اليهود باسم برونوكولات حكماء صهيون (٣٢) . وأهم ما تقضى به هذه البرونوكولات هو العمل على تقويض دعائم الأديان غير اليهودية ، وإشاعة الفوضى فى كل شعب غير يهودى ، وتهديد كل الأنظمة الحاكمة لتكون فى قبضة الصهاينة . وفى

(٣١) وليس دقيقا ما ذكره بعض المفسرين (رواية وردت فى تفسير ابن جرير ج ١٥ ص ٢٢) من أن أول الفسادين قتل بنى اسرائيل زكريا ويحيى عليهما السلام ، لأن قتل بنى اسرائيل انبياءهم كان فسادا اقليميا مقصورا عليهم وليس عالميا . ثم ان زكريا ويحيى عليهما السلام كانا قبل بعثة المسيح مباشرين ، ووقتها لم يكن لليهود علو كبير ، وانما كانوا خاضعين لحكم الرومان ، وكان هكل سليمان فى ذلك الوقت خربا دمره بختنصر عام ٥٨٦ قبل ميلاد المسيح .

وليس دقيقا كذلك ما ذكره بعض المفسرين (روايه فى تفسير الدر المنثور للسيوطى ج ٤ ص ١٦٢) من أن أول الفسادين ما كان من اليهود عندما دخل يوشع خليفة موسى عليه السلام فلسطين ، وقتل معظم سكانها من رجال ونساء وأطفال ، وما كان من فساد فيها بعد ذلك حتى سلب الله عليهم جالوت ، ثم أنقذهم طالوت وداود . ذلك ان هذا الفساد من بنى اسرائيل كان اقليميا مقصورا على فلسطين ولم يكن عالميا يعم الدول الأخرى .

أيضا ليس دقيقا ما ذكره بعض المحدثين (عبد المعز عبد الستار فى مقاله : سورة الاسراء تقص نهاية اسرائيل - مجلة الأزهر مجلد ٢٨ ص ٦٨٤) من أن أول الفسادين ما كان من مواقف اليهود ضد النبى محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين عند بعثته ، لأنه كان فسادا اقليميا ولم يكن فسادا عالميا .

(٣٢) وهى عبارة عن أربعة وعشرين جزءا ، سعى كل جزء منها بروتوكولا . وانظر نصوص هذه البروتوكولات فى كتاب اليهودية والجريمة لعبد المصنف محمود - المرجع السابق ص ٢٢٠ - ٣٠٨ .

سبيل ذلك تتخذ كافة الوسائل لتدمير التعليم فى كل شعب ، وتحطيم كيان الأسرة ، والسيطرة على الصحافة ودور النشر ، لاثارة النفوس أو تهدئتها بما يتفق وأهداف الصهيونية . وتعميق الخلافات بين الأحزاب وطوائف الشعب المختلفة ، واغراء الجماهير بحقوق وهمية غير قابلة للتطبيق تنص عليها الدساتير ، والهائها بممارسة كافة أنواع الفساد ، وتضييع جهدها ووقتها بشغلها بالفن الرخيص والمباريات الرياضية والنظريات الخيالية والخلافات النظرية . واستنزاف الثروات بكافة الوسائل المتاحة ، مع اغراق الشعوب والحكومات فى أزمات اقتصادية حتى تفلس خزائنها ، ثم الجائها الى الاقتراض بفوائد ربوية باهظة تنوء بأعبائها ليستمر اذلالها . وعزل الطماء والقادرين على التوعية المخلصة عن عامة الشعب وعن الحكام ، وتمكين أعوان الصهيونية من الوصول الى مواقع صناع القرار ، على أن يختاروا ممن سبق اشتراكهم فى فضيحة أو عملية مشبوهة ليكونوا باستمرار كالدمى يحركونهم كيفما شاءوا ، أو يختاروا من المغامرين الذى يزج بهم فى محافل الماسونية ونواديها وجمعياتها السرية مع اربابهم وتصفيتهم باستمرار .

وقد لوحظ تسلل كثير من اليهود الى المراكز العالمية المنبثقة عن الأمم المتحدة والى الأحزاب الكبرى فى البلاد الاستعمارية للتأثير على صنع القرار السياسى . وانتشرت جمعيات سرية ماسونية ونوادى تجذب بالتدريج ذوى المراكز المؤثرة فى الدولة لالقاء محاضرات لجمع أكبر قدر من المعلومات ، للتأثير فى عادات وتقاليد الشعوب وفقا للأهداف الصهيونية المرسومة (٣٣) . كما لوحظ ابتداء اليهود لنظريات غريبة كشيوعية كارل ماركس وقرنية دارون وجنس فرويد . وازداد اقبال أغنياء اليهود على شراء واقامة كثير من المؤسسات الاعلامية للتأثير فى الرأى العام . وظهرت بوضوح سيطرة اليهود على جائزة نوبل ، وانكشف

(٣٣) عبد الحميد واكد فى نهاية اسرائيل والصهيونية ط ١٩٧١ ص

تحبيذهم ونشرهم كافة الأفكار التي نهدم عنصرا من عناصر الدين أو الحضارة . ولا يغيب عن البال سعى اليهود الدائب لنشر المصارف (البنوك) الربوية ، والسيطرة على اقتصاديات الدول المختلفة ، ومحاربتهم كل فكر أو نشاط اقتصادي يعارض مع أهدافهم . وهذه وغيرها كلها شواهد على أن افساد بنى اسرائيل فى هذا العصر هو الافساد العالمى المتانى (٣٤) .

ثانيا : تذكر آيات سورة الاسراء أن بنى اسرائيل سيعلون علوا كبيرا . ويحتمل تفسير هذه الآيات أن كل فساد عالمى لبنى اسرائيل سيقترن بعلو كبير لهم ، وبالعالى سيكون لهم فسادان وعلوان ، مع كل فساد علو كبير فى الأرض . والمقصود بالعلو البغى والطغيان والغلبة واقامة الدولة . وقد رأينا فى الافساد العالمى الأول دولة لبنى اسرائيل هى مملكة يهوذا التى انبثقت هى ومملكة اسرائيل من مملكة سليمان عليه السلام ، وكان لدسائس مملكتى اليهود اثر فى سائر دول العالم فى ذلك الوقت . ورأينا فى الافساد العالمى الثانى الذى يعينه الآن دوله

(٣٤) وليس دقيقا ما رآه البعض (محمد سيد طنطاوى فى « بنى اسرائيل فى القرن والسنة ٢ ص ٣٦٨ - ٣٧٣) من أن الافساد النانى لبنى اسرائيل كان بقتل زكريا ويحيى عليهما السلام والشروع فى قتل المسيح عليه السلام ، فسلط الله عليهم تيطس الرومانى الذى قتل منهم مليوناً وأسر مائة ألف ودمر اورشليم سنة ٧٠ م ، وانتهى به تاريخ الاسرائيليين كأمة . ذلك ان الافساد المنار اليه هو افساد اقليمى وليس بعالمى ، كما أنه لم يسبقه أو يقترن به - بمعد بختنصر - علو كبير لبنى اسرائيل كما جاء فى آيات سورة الاسراء . لأن اليهود بعد بختنصر استعمرهم الفرس ثم المقدونيون ثم الرومان ، فكانوا فى عهد تيطس أدلة خاضعين للرومان . كما أن آيات سورة الاسراء تذكر أن من يسلطهم الله على بنى اسرائيل فى الافساد النانى يدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة ، ولم يكن هناك مسجد فى عهد تيطس ، وانما كان هناك هيكل هيرودس الذى لقيم مكان هيكل زر بابل وتحويل الى سوق للمواشى والطيور وصيارفة الربسا .

(م ٥ - تدمير اسرائيل)

اسرائيل والنفوذ الصهيونى العالمى الذى يسعى فى الأرض فسادا . ويحتمل تفسير الآيات أن الله عز وجل قضى الى بنى اسرائيل بفسادين عالميين وبعلو واحد كبير هو ما نشاهده الآن من سيطرة الصهاينة على مراكز القوة فى العالم ، بحيث اذا غضب الاسرائيليون غضبت لهم أمريكا وانجلترا وفرنسا وسائر أمم الغرب جميعا ، كما تعمل لهم الدول الاشتراكية وغيرها حسابا . كذلك تغلغل اليهود فى أكثر مؤسسات العالم الاقتصادية والاجتماعية والاعلامية والسياسية . . . وغيرها ، وهم فى ذلك كله أئمة البغى وشياطين الانس وقادة الطغيان .

ثالثا : بدأت سورة الاسراء بقوله تعالى : « سبحانه الذى أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير . وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا . ذرية من حملنا مع نوح ، انه كان عبدا شكورا . وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين . . . الخ » . وهذه الآيات مكية ، نزلت فى مكة قبل الهجرة الى يثرب ، لتبشر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بالمساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، وهى المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ، وتبشرهم كذلك بأن الله عز وجل سيظهر دينه الاسلام على سائر الأديان وخاصة الديانة اليهودية والديانة المسيحية التى كانت قبلتهما مكان المسجد الأقصى ، لأن هذه المساجد لم تكن معروفة وقت نزول هذه الآيات . فساحة المسجد الحرام وبها الكعبة لم تكن مسجدا وانما كان بها ٣٦٥ صنما تعبد من دون الله . وساحة المسجد الأقصى كانت خرابا (٣٥) .

(٣٥) منذ تدمير الهيكل عام ٧٠ م . بل وقبل ذلك . انظر انجيل متى ٢٣/٢٨ « هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » ومن المعروف أن عمر بن الخطاب ذهب الى مكان الصخرة وأزال عنها مع أصحابه التمامة ليحدد مكان المسجد الأقصى ، الى أن بناء عبد الملك بن مروان . انظر محمد أحمد حسن فى المسجد الأقصى فى الكتب المقدسة ص ١٢٥ .

والتعبير بلفظ « الأقصى » يدل على أنه سينشأ مسجد فصى ، هو المسجد النبوى ، فهو فصى أى بعيد عن المسجد الحرام ، والأقصى أبعد منه .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى نجد فى هذه الآيات نبوءة بقتال الاسرائيليين وانتصار المسلمين عليهم . فقد ورد بها أنه فى الافساد الأول قال تعالى « بعثنا » (بصيغة الماضى) أى بعث الله عز وجل عبادا له أولى بأس شديد ، « فجاسوا » (بصيغة الماضى أيضا) خلال (الديار) ، وهو ما ينطبق على البابليين بقيادة بختنصر ، وهم قوم معروفون بمراسهم فى القتال وشدة بأسهم . وجاسوا أى نرددوا بين مساكن وحصون بنسى اسرائيل للقتل والتخريب ، ودمروا هيكل سليمان ولم يكن معروفا باسم المسجد فى ذلك الوقت ، كما لم يكن مكانا للسجود لله جل علاه ، ففند وضعوا فيه الاوثان (٣٦) . وفى المرة الثانية والاخيرة للافساد العالمى ، التى عبر عنها بقوله تعالى « فاذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا (المسجد) كما دخلوه أول مره » أى سيكتب الله النصر لمن

(٣٦) وبالتالي ليس دقيقا ما ذهب اليه بعض المحدين (عبد المعز عبد الستار المقال السابق بمجله الازهر المرجع السابق) من أن المنتصرين فى الافساد الأول هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين فتحوا بيت المقدس فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، استنادا الى أن كلمة « عبادا لنا » لا تنطبق الا عليهم لأنهم الموحدون أتباع عبده الذى أسرى به ، وأن بختنصر وجنوده عباد أوتان . ويرد على ذلك بأن الله عز وجل يستعمل لفظ عباد له للمؤمنين والكفار على سواء ، من ذلك قوله تعالى : « ولعبد مؤمن خير من مشرك » (البقرة) « انه من عبادة المؤمنين » (٨١ الصافات) « أن تعذبهم فانهم عبادك . . » (المائدة) وهم الذين كبروا بانقاذهم المسيح وأمه الهين ، « أن كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا » (٩٣ مريم) يضاف الى ذلك أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دخلوا بيت المقدس لم يكن فيه يهود ، فقد حصر الرومان على اليهود دخول بيت المقدس الا يوما فى السنة يكون فيه خراب هيكل سليمان ، وظلوا كذلك بعد الفتح الاسلامى الى عهد الأمويين حيث بدأت اقامة بعضهم فيها ، وازدادوا فى عهد العباسيين .

دخلوه أول مرة ، وهم المسلمون ، ويخزي وجوه بنى اسرائيل ، ويكتب للمنصرين أن يتبروا أى يدمروا تدميرا كاملا ما علاه الاسرائيليون فوق المسجد وغيره . ومكان المسجد الأقصى لم يعرف باسم المسجد الا فى ظل الاسلام ، وبالتالي فالتعبير بعبارة « وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » فى الافساد الثانى ، مع سبق ذكر عبارة « فجاسوا خلال الديار » فى الافساد الأول يدل على أن الافساد الثانى سيحدث فى ظل الاسلام . يؤكد ذلك أن صيغة ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، تشعر بالاستقبال وأن ذلك سيحدث بعد نزول القرآن ، بخلاف صيغة « بعثنا عليكم » و « فجاسوا » فهى صيغة ماض حدث قبل نزول القرآن ، وان كان منصوبا عليه فى التوراة كتاب بنى اسرائيل أنه من قضاء الله الى بنى اسرائيل . ويؤكد ذلك سعى الاسرائيليين اليوم الى هدم جزء من المسجد الأقصى ليعطوه بناء هبكل سليمان من جديد ، وقد ينجحون فى ذلك فيكون هذا علامة اقتراب نصر الله للمسلمين لبسوعوا وجوه الاسرائيليين « وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

وذكر عبارة « ما علوا » يشير الى أن نصر الله سيأتى فى تلك اللحظة ، وقد يكون هذا بعد قيام دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات ، وقد لا تتمكن دولة اسرائيل الحالية من هذا التوسع ولكن تتمكن من هدم جزء من المسجد الأقصى . المهم أنه عندما تعلق المنشآت اليهودية المسجد الأقصى فسيأتى قضاء الله بتتبيرها تتبيرا ويتحقق وعده للمؤمنين بالنصر (٣٧) .

(٣٧) وقد يكون هذا المعنى هو المقصود كذلك فى العبارة التى وردت فى العهد القديم على لسان ميخا ص ١٣٢٥ « يوم بناء حيطانك ، ذلك اليوم يبعد الميعاد . هو يوم يأتون اليك من آشور ، وهدم مصر ، ومن مصر الى النهر ، ومن البحر الى البحر ، ومن الجبل الى الجبل . ولكن تصير الأرض خربة بسبب سكانها من أجل تصر أفعالهم » . وإذا كان معنى النص هو تدمير دولة اسرائيل الحالية ، فذلك مما بكتمه علماء بنى اسرائيل أو يلبسون فيه الحق بالباطل فيظهره الله عز وجل .

ومعنى ليسوعوا وجوهكم ، أنه سيلحق وجوه الاسرائيليين الخزى والعار ، ليس للهزيمة فحسب ، بل كذلك بافتضاح كتمانهم للحق وتأويل نصوص التوراة على غير معانها . ففيها نبأ الفسادين العالميين ونصر المؤمنين على الاسرائيليين ، كما ورد ذلك فى القرآن ، غير أن بنى اسرائيل أبقوا فى العهد القديم نبأ عودتهم الى فلسطين وحرفوا نبأ فسادهم والنصر عليهم ، فيظهره الله واضحا وبخزى بنى اسرائيل .

رابعا : مما يؤكد أننا نعيش عصر الافساد العالمى الثانى والاخير لبنى اسرائيل ، ما ذكرته آيات سورة الاسراء سالفه الذكر من اعادة الكرة لليهود بالعودة الى فلسطين وامدادهم بأموال وبنين وكثرة النفير .

ذلك أن قوله تعالى « ثم رددنا لكم الكرة عليهم » بصيغة الماضى تعنى أن الله عز وجل ، أعاد اليهود الى فلسطين بعد الافساد العالمى الاول - رغم أنف المنتصرين عليهم . وهو ما حدث من انتصار قورش الفارسى على البابليين سنة ٥٣٨ ق م . وعودتهم الى فلسطين ، فقد تم ذلك تنفيذا لطلب استير اليهودية التى عسقها ملك الفرس ، وكان ذلك انتقاما لليهود الذين سبق أن قتلهم وسباهم البابليون . ورد الكرة - كما ورد فى القرآن - لم يقترن بعلو كبير لبنى اسرائيل ، وانما اقترن بمداهم بأموال وبنين وكثرة النفير . ثم ان الله عز وجل لم يذكر أن الكرة ستكون من اليهود ، وانما ستكون لهم ، أى لصالحهم . قال تعالى : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم » وبصيغة الماضى ، وهو ما حدث فى عهد قورش (٣٨) .

(٣٨) وبالتالى لا محل للبس الذى وقع فيه البعض ، فظن أن رد الكرة يقتضى انتصار اليهود ، وقاده هذا اللبس الى القول بأن الفساد العالمى الاول لليهود كان فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم الذى حاربهم وانتصر عليهم، ثم ردت الكرة لليهود على المسلمين الآن . اذ يرد على ذلك بأنه لم يكن لليهود

ثم أمد الله عز وجل بنى اسرائيل بأموال وبنين ووسائل اعلام فجعلهم بذلك كله اكثر نفيرا . فقد ابتدعوا فكرة المصارف (البنوك) الربوية ، ونراهم الآن قد امتلكوا وتحكموا فى معظم المصارف العالمية وأهم المؤسسات الاقتصادية ، وتدفقت هجرتهم الى فلسطين ، وزادت سيطرتهم على وسائل الاعلام ، وأحكموا قبضتهم على صناعات القرار السياسى والاقتصادى فى العالم كله ...

خامسا : قوله تعالى بعد رد الكرة لليهود « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » قد يكون اشارة الى أن معاملة الشعوب والحكام لهم ستكون وفق سلوكهم مع هذه الشعوب وأولئك الحكام ، فان أحسن اليهود معهم فقد أحسنوا لأنفسهم وان أساءوا فقد أساءوا لأنفسهم . ويشهد تاريخهم أنهم كانوا أعداء كل بلد يحلون به ، وشياطين كل زمان يعيشون فيه (٣٩) . وباحتمل أن يمتد نفسر قوله تعالى : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » الى الاشارة الى مساعى السلام القائمة منذ اغتصاب فلسطين ، والتي فشلت فيما مضى وستفشل دائما لتعنت حكام اسرائيل والدول التى تساندها ، ولتحقق قضاء الله عز وجل « فاذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » ولفظ اذا يفيد تحقق الوقوع ، كما أن استعمال لام التوكيد فى قوله تعالى « ليسوعوا » و « ليدخلوا » و « ليتبروا » يدل على أن نصر الله للمؤمنين على بنى اسرائيل آت حتما ، كما أن فى قوله تعالى « فاذا جاء وعد الآخرة » تعبير بالفاء قبل اذا ، والفاء

افساد عالمى عند البعثة المحمدية ، كما لم يكن لهم علو كبير ، ورد الكرة لم يكن من اليهود وانما كان لهم ، وهو ما ينطبق على انتصار قورش الفارسى على البابليين وعودة اليهود فى ذلك الوقت الى فلسطين . ثم أمدهم الله بعد ذلك بالأموال والبنين وكثرة النفيير . (٣٩) وقد رأينا كيف طردتهم كافة الدول الاوربية ، كما حذر فرانكلين الأمريكان منهم ، راجع بند ٥ فيما سبق .

تستعمل للترتيب مع التعقيب ، وهو ما يدل على أن النصر قريب يعقب مباشرة ما يعلو به الاسرائيليون المسجد الأقصى من منشآت .

سادسا : قوله تعالى : « وان عدتم عدنا » يفيد أن الاسرائيليين بعد طردهم من فلسطين هذه المرة بعد الافساد العالمى الثانى ، سيفكرون فى العودة مرة ثالثة الى فلسطين ، وفى احاديث رسول الله صلى عليه وسلم ما يدل على أن طائفة من اليهود ستتبع المسيح الدجال عند ظهوره (★) ، ولعل محاولة اليهود العودة الى فلسطين بعد هزيمتهم ستكون معه . ومن المعروف أن حركة الأجودات الاسرائيلية تنادى بانتظار ظهور المسيح عليه السلام ليعودوا معه الى فلسطين ، وقد يتوهمون المسيح الدجال على أنه المسيح المنتظر عليه السلام فيتبعونه ، فينتصر عليهم المسلمون مرة أخرى تحقيقا لوعد الله سبحانه « وان عدتم عدنا » .

سابعا : بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله ، فيما رواه البخارى من قول النبى صلى الله عليه وسلم « تقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم ، ثم يقول الحجر : يا مسلم ، هذا يهودى ورائى فاقتله » (٤٠) . وما رواه مسلم من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى فتعال فاقتله » (٤١) . وفى هذين الحديثين وغيرهما نبوءة من النبى صلى الله عليه وسلم تشرح آيات سورة الاسراء . فمن الملاحظ أنه لم يحدث أن قاتل اليهود المسلمين بعد البعثة المحمدية الا فى هذا العصر ، وبالتالي فهذا العصر شاهد على صدق ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة عام ، وهى نبوءة تؤكد أن محمدا صلى الله عليه وسلم ببلغ عن ربه . وقد شرح المحدث الفقيه ابن حجر العسقلانى الحديث الذى رواه البخارى بقوله (٤٢) : « تقدم من وجه آخر فى الجهاد فى

-
- (★) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٨٥ و ٨٦ .
 - (٤٠) فتح البارى بشرح البخارى ج ٧ ص ٤٢٢ .
 - (٤١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٤٤ .
 - (٤٢) فتح البارى بشرح البخارى ج ٧ ص ٤٢٢ .

باب قتال اليهودى ، قوله « تقاتلكم اليهود فسلطون عليكم » ، وفى رواية أحمد عن طريق أخرى عن سالم عن أبيه « ينزل الدجال هذه السبخة » أى خارج المدينة (المنورة) « ثم يسلط الله عليه المسلمون فيقتلون شيعته ، حتى أن اليهودى يختبئ تحت الشجرة والحجر فيقول الحجر والشجرة : « هذا يهودى فاقتلته » وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى « هذا ما استنبطه ابن حجر العسقلانى فى القرن التاسع الهجرى الذى عاش فيه . وقد اتضحت الصورة الآن أكثر ، فجهاد المسلمين ضد اليهود بدأ فى القرن الرابع عشر الهجرى (العشرىن الميلادى) بنسلط اليهود على المسلمين ، وهذه إحدى روايات الحديث ، ثم يكتب الله عز وجل النصر للمسلمين فيسلطهم على اليهود . وهذه رواية أخرى للحديث ، وكلاهما يتفق وبفسر قوله تعالى فى سورة الاسراء « ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وأن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وحوهم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا » أما قول الحجر بامسالم هذا يهودى ورائى فاقئلته ، فذلك يحدث عند خروج المسيح الدجال الذى تتبعه طائفة من اليهود كما ورد فى الآجاديث التى نوضح ما يحدث مع الدجال (٤٣) . وتفسر قوله تعالى : « وإن عدتم عدنا » وصدق الله العظيم اذ يقول « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذى يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » (٤٤) بجهادهم وقتالهم للشرك والشرار . « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ، وما ربك بغافل عما تعملون » (٤٥) . سيريكم أن اليهود ومن والاهم وسانداهم

(٤٣) ففى صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٨٥ و ٨٦ « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالة » .

(٤٤) الآية ٩ سورة الإسراء .

(٤٥) الآية ٩٣ سورة النمل .

- ٧٣ -

على باطل ، وأن الاسلام هو دين الله الحق . وما ربك بغافل عما تعملون ،
فقد قال جل شأنه « انا من المجرمين منصفون » (٤٦) « وسيعلم
الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » (٤٧) .

١٥ - اسرائيل لا تريد السلام :

سيمضى الاسرائيليون فى صنع عجلهم الجديد ، ومعبودهم فى هذا
العصر ، وهو دولة اسرائيل الكبرى ، مهما كان الثمن (٤٨) .

لقد لوحظ أن اسرائيل درجت على التمهيد لكل عدوان جديد بالحدث
الحديث عن السلام .

ومهما قدم العرب بصفة عامة والفلسطينيون بصفة خاصة من نارلات
هى فى حقيقتها استسلامات ، فسنظل اسرائيل مصممة على تحقيق هدفها
وصنع معبودها من النيل الى الفرات ، ساعة له بكل الوسائل المشروعة
وغير المشروعة ، ناقضة لكافة العهود والمواثيق ، مهما كانت الضمانات .
وهذا ما حدث عندما قبلت اسرائيل الهدنة من قبل ، ثم اتفاقية كامب
ديفيد من بعد .

(٤٦) من الآية ٢٢ سورة السجدة .

(٤٧) من الآية ٢٢٧ سورة السعراء .

(٤٨) وهذا ما صرح به زعماء اسرائيل . ففى خطاب مناحم بيغن
بتاريخ ٧ (نيسان) ابريل ١٩٥٠ يذكر انه « لن يكون سلام لنسب اسرائيل
ولا لأرض اسرائيل ، حتى ولا للعرب ، ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه ،
حتى ولو وقعنا معاهدة الصلح » . كما أعلن موسى دبان يوم احتلاله القدس
فى ٦ (حزيران) يونيو ١٩٦٧ أنه « استولينا على اورشليم ، ونحن فى
طريقنا الى يرب والى بابل » - انظر محمود تست خطاب فى اهداف
اسرائيل التوسعية فى البلاد العربية - سلسلة مجمع البحوث الاسلاميه
س ٢ - الكتاب ١٦ ص ٤٣ و ٤٤ و ٣٧ على التوالى .

- ٧٤ -

ليس هذا تشاؤما يا مسلمون وانما هو حقائق الواقع ودروس التاريخ . وهذه أهم الأسباب :

أولا : فى الاسرائيليين طبيعة وشهوة حامية لايقاد الحرب والافساد فى الأرض . ولقد قامت دولة اسرائيل على الارهاب والعنف والتشريد ، ومع ذلك لا تترك مناسبة الا وتنتظر بانها تريد السلام .

ثانيا : ترفض اسرائيل مبدأ الأرض مقابل السلام . وترفض جميع قرارات المنظمات الدولية وغيرها وكافة الصيغ التى تؤدى الى تحقيقه . انها ترفض عودة الفلسطينيين الى ديارهم أو الى جزء من أراضيهم مقابل أن يسودها السلام ! .

ثالثا : يشعر الاسرائيليون دائما بالخوف وعدم الامان ، لأنهم احرص الناس على الحياة ، والحياة لا تخلو من منغصات ، لأنهم ذاقوا سوء العذاب على مر التاريخ القديم والحديث ، وطردهم كافة الحكومات ولم تقبلهم سائر الشعوب . كما لا يقبلهم الآن أحد من جيرانهم العرب الا الخونة والمنافقون (٤٩) .

رابعا : يحتقر الاسرائيليون سائر الشعوب الأخرى (٥٠) ، ظنا منهم أن بنى اسرائيل هم شعب الله المختار وأن غيرهم عبيد لهم فكيف يتساوون بهم ؟ ! .

(٤٩) جويس ستار ، وهى يهودية أمريكية تقلدت عدة وظائف فى الحكومة الأمريكية تنصل بالشرق الأوسط . ونشرت كتابها Kissing through glass للبحث فى أوجه القصور فى العلاقات الأمريكية الاسرائيلية . وقد نشرت جريدة الأهرام ملخصا لما جاء فى هذا الكتاب بعددها الصادر فى ١٩٩١/٤/٢٥ نقلنا منه ذلك بتصريف .

(٥٠) جويس ستار فى كتابها سالف الذكر ، وتضرب مثلا لذلك بأن الاسرائيليين يصفون الأمريكيين بالسذاجة وعدم المرونة والمغالاة فى الالتزام بالقوانين والتعليمات .

خامسا : تسعى اسرائيل لتهجير كافة اليهود فى العالم اليها ، مما يستتبع تمسكها بالأراضى المحتلة ، بل والسعى نحو احتلال غيرها ، والاكتثار من بناء المستوطنات ، اذ لابد للمهاجرين من أرض ومياه وغير ذلك ، بما يؤدى الى رفض السلام والعمل على الاستعداد لحرب تشنها عندما تنهيا لها الظروف الدولية والمحلية المناسبة .

سادسا : حصول اسرائيل على صفقات ضخمة من الأسلحة ، وأرار تكنولوجيا من الغرب والشرق ، وامتلاكها لخرسانة من الأسلحة النووية والكيمياوية والبيولوجية يؤكد منهجها الدائم للحرب ورغبتها الجامحة فى التوسع لاحتلال الأرض .

سابعا : سعى اسرائيل الدائب للسيطرة الاقتصادية على العرب ، يدفعها دائما للدخول فى معارك تستنزف بها طاقات العرب .

اذن ما هى حقيقة ما تريده اسرائيل ؟

تريد اسرائيل من العرب اعترافا رسميا بها ، وهو ما يعنى التنازل نهائيا عن فلسطين لليهود ، ومنع أية مطالبة بتحرير أرضها المحتلة ، وابقاء الوطن العربى ممزقا ، وخاضعا للنفوذ الأجنبى ، مع فتح المجال لليهود فى البلاد العربية لبذر الفتنة وممارسة كافة صور الانحلال والفساد .

تريد اسرائيل من العرب انهاء المقاطعة الاقتصادية لها واشراكها فى التجمعات الاقتصادية العربية ، وهو ما يعنى زيادة الاقتصاد الاسرائيلى قوة على قوته ، مع فتح الطريق له لتخريب كافة اقتصاديات الدول العربية وتحويلها الى سوق لاستهلاك المصنوعات الاسرائيلية .

تريد اسرائيل اشراكها فى برامج التعاون العسكرى ، وهو ما يعنى اطلاعها على كافة التنظيمات العسكرية العربية ، ورصد تحركاتها لشل حركتها .

تريد اسرائيل الغاء كافة ما ورد بالموانيق العربية مما يشير الى اعتبارها عدوا ، وهو ما يعنى تربيه الاجبال العربية المستقبلية على حب اسرائيل والتنازل عن القدس ، مع محاربة كل فكر يفضح اليهود ، وهو ما يتضمن معارضة القرآن الكريم حيث يقول الله عز وجل فيه « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (٥١) . وهذه حقيقة . دلونى على يهودى واحد فى العالم كله يحب المؤمنين (٥٢) ؟ .

وحال العرب اليوم بنذر بأن حكامهم سيقدمون لاسرائيل كثيرا من هذه التنازلات ، تمنا لهدنة يلنقطون فيها أنفاسهم . فقد أفلحت الصهيونية والصليبية والالحادية فى اغراق مصر بالديون ، واذكاء نار الخلافات بين العرب ، ثم تجريدهم من فعالية سلاح البترول وسلاح الارصدة العربية فى حرب الخليج ، وتوهين ثقة بعضهم ببعض .

وإذا حدثت هذه التنازلات أو الاستسلامات من زعماء العرب المخدرين بوعود أمريكية أو بريطانية أو فرنسية أو روسية ... الخ . أو المهذبين بضغوط من هؤلاء ، ثم عادت اسرائيل الى طرد الفلسطينيين ، أو التوسع فى بناء المستوطنات للمهجرين اليهود ، أو الزحف على الأردن أو جنوب لبنان للاستيلاء عليها ، أو التحكم فى مصادر المياه ، فهل يملك أى زعيم عربى ، بل هل يملك كل الزعماء العرب - بعد ذلك - أن يعيدوا المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل مثلا أو يسحبوا اعترافهم السياسى بها ... ؟ كلا ... ثم ألف كلا ... فيعتبر ذلك قرارا باعلان الحرب على اسرائيل ، وقد بلغ الضعف بالعرب مبلغا يعجزون معه وقت تأليف هذا الكتاب عن

(٥١) من الآية ٨٢ سورة المائدة .

(٥٢) والمؤمنون هم الذين قال الله عز وجل فيهم « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » الآية ١٥ من سورة الحجرات . أما من يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله دون أن تتوافر فيه صفات المؤمنين سألفة الذكر فهو مجرد مسلم .

محاربه اسرائيل ، وهى تملك فى مواجهتهم مئات القنابل الذرية وغيرها من الاسلحة النووية والكيمياوية والبيولوجية .

ان توقف اسرائيل المؤقت عن بناء المستوطنات ، أو حتى الموافقة على حكم ذاتى للفلسطينيين ، لىب ثمننا لانهاء المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل النى 'ذا أخذت مأخذها من الجدل لانتجت ثمارها . واذا كانت المصنوعات الاسرائيلية ندخل البلاد العربية تحت مسميات أخرى ، كما يتغلغل الخبراء الاسرائيليون فى ادارة المصالح العربية تحت ستار أنهم خبراء أمريكيون أو بريطانيون أو فرنسيون أو روس ... الخ ، فذلك لضعف الأجهزة العربية المراقبة أو فسادها . وسيأتى اليوم الذى يوضع فيه كل شىء فى موضعه . أما الاستسلام لاسرائيل على النحو الذى تطلبه فهو يعنى خراب الدول العربية والبدابة لتدمير قوتها وافلاس خزائنها وانحلال مجتمعاتها واذلالها على الدوام .

ان اسرائيل لم تقدم على حرق المسجد الاقصى وتكثر من بناء المستوطنات الا بعد اتفاقية كامب ديفيد ، وكل هدنة معها أو معاهدة سلام مزعوم لا تتوانى عن استغلالها لتتقدم خطوة وخطوات نحو استكمال صنع عجلها الجديد ، بالتوسع لاقامة دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

حذار حذار أيها الحكام العرب من سلام وهى يجر أوخم العواقب على الأمة ، بينما عدوكم وعدو شعوبكم من الصهاينة والدول الاستعمارية لا يرحم اذا تمكن . ان الشعوب الاسلامية لن تغفر لكم غفلة أو تقبل منكم عذرا . ارفضوا حقن التخبير المستمرة أو عصا التهديد .

أبها المسلمون فى جميع بقاع الأرض ، خذوا بأيدي اخوانكم العرب ، فان اضطر أحدهم لعقد هدنة أو معاهدة سلام وهمى ، وسقط بذلك فى حبال العدو ، فعاونوا بلده بالمال والعتاد والرجال حتى يفوم من كبوته وينهض من

عثرته ويعود الى صفوف المجاهدين . اخلصوا لامتكم الاسلامية ، وتصدوا لكافة المؤامرات وأخبت المناورات ، فالحق معكم والقرآن يبشركم بنصر الله فى معركة المصير ، وما عليكم الا أن تعدوا لهم ما استطعتم من قوة ترهبون بها عدو الله وعدوكم .

١٦ - الدول الاستعمارية لا تريد السلام فى الشرق الاوسط :

« منذ قيام دولة اسرائيل ، اتجهت سياسة كل من الغرب والشرق الى البحث عن الضمانات الدولية من أجل المحافظة على اسرائيل وكان محور الضمانات . . . أن يتحقق لاسرائيل القدر الكافى من التفوق النوعى على جيرانها العرب فى مجال التسليح . واذا كانت الدول الغربية وعلى الأخص كل من الولايات المتحدة (الأمريكية) وبريطانيا وفرنسا قد اتخذت موقفا محددا - 'اعتبارا من صدور التصريح الثلاثى فى (سنة) ١٩٥٠ (٥٣) ، ثم تشكيل لجنة دائمة داخل حلف الأطلسى لمتابعة تسليح دول الشرق الأوسط لضمان استمرار حد التفوق الاسرائيلى ، فان الاتحاد السوفيتى منذ دخوله ميدان تسليح الدول العربية فى (سنة) ١٩٥٥ حرص كل الحرص على ألا يحدث الاختلال الذى اتفقت عليه الدول الغربية ، وبحيث كان من المعروف . . . أن موسكو على غير استعداد لبيع أية أسلحة تضمن تفوقا عربيا على اسرائيل » .

« على أن اسرائيل وضعت فى حساباتها الاستراتيجية أنها . . . لا تضمن التفوق الكمى لدى الدول العربية ، وبالتالي فلا بد من البحث عن ضمان أعلى . . . ومن هنا بدأ مسلسل السلاح النووى الاسرائيلى ، والذي لم يكن من الممكن أن يتم دون معونة فنية (ومالية) مباشرة من الغرب . واقع الامر اذن :

(٥٣) بأن أعلنت فى ٣٠ مايو ١٩٥٠ تعهدها بضمان بقاء الكيان الاسرائيلى فى فلسطين .

١ - أن اسرائيل لديها السلاح النووي ، وأن العرب ليس لديهم هذا السلاح .

٢ - أن اسرائيل ستسعى بكل الوسائل الى عدم حصول العرب على السلاح النووي .

٣ - أن القوى الدولية - بما فى ذلك السوفيت ... سنقف ضد أى محاولة من جانب أى دولة (عربية) فى المنطقة لانتاج السلاح النووي ... » .

« ... كيف يمكن الوصول الى أى اجراء لبناء الثقة اذا كانت اسرائيل ترفض ... التوقيع على أية اتفاقية دولية تسمح بالرقابة الدولية على مفاعلها النووى فى ديمونة ؟ ... » (٥٤) .

ان الدول 'غربية' تتجاهل ذلك وتتغاضى عنه ، بل وتشجع اسرائيل بطريق مباشر وغير مباشر على التوسع فى انتاج أسلحتها النووية .

ان عداء الغرب القديم الذى ظهر فى الحروب الصليبية مستمر ، بل ويتجدد الآن بصورة استفزازية . وقد أثار بعض الكتاب (٥٥) الى ظهور كتابات فى الغرب تحت عنوان « البحث عن عدو » منها دراسة للمؤرخ الاسترالى ادوارد مورتيمر نشرت فى لندن ، قال فيها « ان خطوط

(٥٤) الفقرات السابقة كلها من مقال للسفير صلاح بسيونى ، بعنوان « الخيار النووى الاسرائيلى وقضية السلام » - جريدة الأهرام عدد ٢٨ أبريل ١٩٩١ ص ٧ . وينتهى الى أنه حتى تثبت اسرائيل حسن نيتها واستعدادها للسلام عليها أن تقبل مبدأ الأرض مقابل السلام ، وتقبل حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره . وتقبل حضور مؤتمر الأمن والسلام المقترح .

(٥٥) عاطف الغمري فى مقاله العثور على عدو عربى - جريدة الأهرام فى ١٢/٦/١٩٩١ ص ٧ (بتصرف) .

العداء فى أوربا قد حددتها اعتبارات الحرب ، عندما بدأ ستالين يواجه أوربا بحدود جديدة تمتد على طول بلادهم كأمر واقع فى أوربا الشرقية . وكان حلف الأطلسى هو ردهم على هذا الأمر الواقع . ثم فجأة وفى أواخر عام ١٩٨٩ أصبحت روسيا واحدة منا ، على الأقل فى مواجهة ما يمكن أن يحدث على تلك الأرض من العالم الإسلامى من نهضة جديدة « ! . كما كتب ديفيد هول فى صحيفة « واشنطن تايمز الأمريكية تساؤل عما اذا كان يمكن أن يحل الإسلام محل الشيوعية كخطر أكبر على الغرب ، وأجاب على هذا التساؤل بأن الأدلة التاريخية والمعاصرة تقود للإجابة بنعم . ولم تكن بقية دوائر الفكر فى مختلف دول الغرب ومنها فرنسا ، بعيدة عن هذا التصور » .

وإذا كانت الحروب الصليبية لها دوافعها الدينية ، فان اتخاذ الغرب الآن العالم الإسلامى عدوا له ، كانت له دوافع أمنية واقتصادية وسياسية بعد زوال الخطر الشيوعى . فالإيعاز الى شعوب الغرب بأن العالم الإسلامى هو عدوها الأكبر يحفز هذه الشعوب على المحافظة على أمنها ويعمل على وضعها فى درجة عالية من الدفاع عن الوطن ضد هذا الخطر الذى يتهدها ، وأية أخطار أخرى ، وهو ما يؤدى الى تنشيط صناعاتها العسكرية التى تمثل الجزء الرئيسى من اقتصادها ، كما يؤدى الى استمرار التفاف الشعوب الغربية حول قياداتها السياسية كما كانت ملتفة حولها ضد الخطر الشيوعى .

لقد حددت الدول الاستعمارية أهدافا ومصالح لها فى الدول الإسلامية ، وتتلخص فى تدمير أسلحتها واستنزاف كافة مواردها وافلاس خزائنها وانهال مجتمعاتها واذلالها على الدوام .

والأمثلة على ذلك كثيرة : أبرزها أنه لما ظهرت فعالية سلاح البترول وسلاح الأرصادة العربية فى حرب ١٩٧٣ م ، وضع الغرب التخطيط المناسب الذى يسلب العرب هذه القوة ، وما أن تعاضمت قوة العراق

العسكرية ، حتى بدأ تنفيذ المخطط المرسوم ، حيث دمرت الدول الاستعمارية قوة العراق العسكرية ، بل ومنشآته الحضارية ، وألجأت كلا من الكويت والسعودية الى الاقتراض من الخارج ، وشلت فعالية سلاح البترول باحتلال قواعد عسكرية عربية بالقرب من منابعه . هذا فى الوقت الذى زودت فيه اسرائيل بتكنولوجيا متقدمة مع أحدث الأسلحة المتطورة ، بل وقامت أمريكا بتخزين أسلحة لها فى اسرائيل مع الاذن لها باستخدامها ، وقدمت لها مليارات الدولارات ، لتسمر اسرائيل حارس مصالحها فى الشرق الأوسط ولتستخدمها فى بعض المهمات التى لا يلزم فيها التدخل المباشر لهذه الدول الاستعمارية (٥٦) .

وتستخدم الدول الاستعمارية وسائل كثيرة لتحقيق أهدافها فى الدول الاسلامية ، أهمها أنها تعتمد على عملاء لها من خونة الأمة الاسلامية تحرص على أن تبثهم كبطانة سوء حول صناعات الفرات فى الدول

(٥٦) وقد نشرت جريده الأهرام فى ١٩٩١/٦/١ فى صفحتها الاولى ان رينشارد تسينى وزير الدفاع الأمريكى أعلن - بعد يومين فقط من دعوة الرئيس الأمريكى جورج بوش للحد من التسلح فى الشرق الأوسط - أنه يجرى حاليا تخزين معدات عسكرية أمريكية فى اسرائيل تحسبا لنشوب حرب فى المستقبل » . وفى نفس الصفحة فى خبر آخر صرح سبها دينيز رئيس الوكالة اليهودية بأن الولايات المتحدة وفرنسا ودولا أخرى تساعد اسرائيل فى محاولتها تهجير يهود سوريا واليمن والعراق الى اسرائيل ، بالإضافة الى اليهود المجرين من ألبانيا والاتحاد السوفيتى . وفى نفس الصفحة خبر ثالث يذكر ان اسحاق سامير رئيس الوزراء الاسرائيلى أكد أن اسرائيل لن تنخلأ أبدا عن حفنة تراب من الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين !! وفى نفس العدد ص ٦ أن سلطات الاحتلال الاسرائيلى منعت الفلسطينيين من دخول القدس لأداء صلاة الجمعة فى المسجد الأقصى أثناء زيارة تسينى وزير الدفاع الأمريكى لاسرائيل ، واستمرت الجرافات الاسرائيلية فى عمليات التسوية والجرف لأراضى قرية بالضفة الغربية ، لاجراء توسعات فى مستوطنة مجاورة ، وأن أحد الفلسطينيين استشهد على يد تنظيم سرى أنسى لقتل الفلسطينيين » .

(م ٦ - تدمير اسرائيل)

الاسلامية . كما تستخدم أسلوب التخدير للوصول الى التغيير ، ففى اتجاهها لتحقيق هدفها من حرب الخليج مثلا والخاص بتدمير القوة العسكرية والاقتصادية للعراق ، وشل فعالية سلاح البترول وتبديد أرصدة الكويت والسعودية ، أخفت الدول الاستعمارية هذا الهدف تحت ستار الزعم بأن هدفها تحرير الكويت مع اعلان أنه سيتم بعده تحرير الأراضى المحتلة فى فلسطين . وبعد أن تم للدول الاستعمارية تحقيق هدفها الأول من تدمير القوة العسكرية والاقتصادية الصاعدة للعرب ، نجدها تسعى لاجبار العرب على الاستسلام لشروط اسرائيل تحت ستار معاهدة للسلام الدائم بالشرق الأوسط !! تسعى بعدها اسرائيل لتحقيق دولتها الكبرى من النيل الى الفرات ، دون أن تملك الدول العربية التراجع عن تنازلاتها ، حيث سيعتبر هذا التراجع اعلانا منها بالحرب على اسرائيل وهى غير مستعدة وقتئذ لهذه الحرب ، وكلما استعدت لها أجهزتها اسرائيل أو الدول الاستعمارية الكبرى بالضربات تلو الضربات .

أفيقوا أيها المسلمون . « وكفى ما كان من اتساع هوات واعتساف خلافات ، وواجهوا الأمر بصفو قلوب ، وتنسيق جهود ، وتكامل امكانيات والتمام طاقات ، حتى نستحق أن نكون المعنيين بعباد الله الذين أنذر الله بهم اليهود فى قوله سبحانه : (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) » (٥٧) .

١٧ - التخطيط للنصر :

ان معركة النصر التى لابد منها ، « تتطلب ساسة يخططون ، وقادة يرسمون ، وقوادا يقدمون ، وجنودا يستبسلون . تتطلب قبل ذلك جهادا

(٥٧) حسن مامون فى كلمته فى افتتاح المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية - كتاب المؤتمر الرابع - المسلمون والعدوان الاسرائيلى ط ١٩٦٨ ص ١٤ و ١٥ .

بالرأى يشير وينير ، ٠٠٠ ٠٠٠ ، وجهادا ببذل ذى الوسع وايتار ذى
الخصاصة « (٥٨) .

واستعدادا ليوم النصر الذى وعد الله به الأمة الاسلامية فى قوله
تعالى : « وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » يتعين على كل دولة
اسلامية ، وعلى كل مؤتمرات الدول الاسلامية والعربية ، بل وعلى كافة
المنظمات الرسمية والشعبية فى البلاد الاسلامية ، أن تخطط لليوم
الموعود « « يوم استرداد المسجد الأقصى » .

وفى هذا التخطيط يجب ألا ننسى النقاط الآتية :

أولا : الاستعداد لحرب الصواريخ :

فقد قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله
يعلمهم ، وما تنفسون من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا
تظلمون » (٥٩) . وهكذا جعل الله الاستعداد للحرب أمرا منه سبحانه
وحكما شرعيا واجب العمل به ، وفرض عين على كل حاكم مسلم ، وهو
أمر لا غنى عنه ازاء عدو يتربص بنا الدوائر وينتهاز الفرص وينتظر نقطة
ضعف .

وليس هناك مدى للاستعداد للحرب ، فكل ما يبلغه الجهد ،
وتتسع له الطاقة ، يجب أن يبذل ، فقد قال تعالى : « وأعدوا لهم ما
استطعتم ٠٠٠ » من قوة بشرية ، وعتاد حربى رادع حديث ، وتوجيه
معنوى يشحذ الهمم ، وتدريب مستمر دقيق ٠٠٠ الخ .

(٥٨) حسن مأمون - المرجع السابق ص ١٤ .
(٥٩) الآية ٦٠ سورة الأنفال .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي » (٦٠) . والرمي هو الدقة فى اصابة الهدف ، سواء بحجر أو برمح أو بطلقة بندقية ، أو بقذيفة مدفع أو دانة دبابة ، أو بقنبلة من يد أو من طائرة ، أو باتجاه صاروخ . . . وما يعين على ذلك كله من أجهزة كالرادار أو الأشعة بمختلف أنواعها أو نحو ذلك .

وقد أثبت الرمي بالصواريخ فاعليته ، وأتصور أن توضع خطة تفاجيء الاسرائيليين فى كل موقع بأن السماء فوقهم تمطرهم بالصواريخ بلا توقف ، تأتيهم من كل مكان وتحيط بهم فى كل موقف . فلا تنهمر عليهم فقط ممن حولهم من البلاد العربية كمصر وسوريا والعراق والسعودية ، بل وأيضا من سائر البلاد الاسلامية كإيران وباكستان وليبيا والجزائر والمغرب واليمن والسودان . . . بل تأتيهم من مصر مثلا من كل مدينة أو قرية فيها . . من سائر مدن القنال ومن كل مدن الوجه البحرى ومن جميع مدن الوجه القبلى ، بل ومن القرى ومن مواضع لا تحصى فى الجبال وفى الصحراء وغيرها ، ومن قواعد متحركة وأخرى ثابتة ، فى قصف مستمر متواصل ليل نهار حتى النصر . ولما كانت اسرائيل تقع فى قلب البلاد الاسلامية ، فبالتالى يأتيها القذف ان شاء الله تعالى من الشرق ومن الغرب ومن الشمال ومن الجنوب ، وفى كل لحظة ، بحيث يتم تدمير كافة أسلحتها النووية والكيمياوية والبيولوجية ، مع ذلك كافة مرتفعاتها ومواقعها الاستراتيجية ، حتى يأتيها وعد الله عز وجل بأنها لن تدمر فقط ، وانما ستتبر تتبيرا ، أى تكون تبرا كالتراب من شدة التدمير .

واذا كانت اسرائيل تسعى الى تدعيم شبكة دفاعها ضد الصواريخ ،

فان الخبراء العسكريين يرون أن هناك مشكلات معقدة تواجه أنظمة الدفاع المضادة للصواريخ بشكل عام ، وبخاصة الآتى (٦١) :

« أولا : الصعوبة فى التمييز بين الرؤوس المدمرة الخداعية التى تحملها الصواريخ المهاجمة والرؤوس الحقيقية ، وتأثير الاعاقة الاليكترونية المضادة على شاشات الرادار التى تواجه هذه الصواريخ .

ثانيا : يستطيع المهاجم باستخدام الصواريخ متعددة الرؤوس النووية أو التقليدية أو الكيماوية تركيز الضربات الجوية فى منطقة حبوبية هامة بعينها . وهذا يؤدى الى اجهاد نظام الدفاع المضاد للصواريخ والحصول على التفوق ، لأنه حتى لو نجح هذا النظام فى تدمير بعض هذه الرؤوس فان البعض الآخر سيتمكن من الافلات واختراق الدفاعات وتدمير الأهداف الحيوية ...

ثالثا : النفقات الباهظة التى تتكلفها شبكات الدفاع بالصواريخ ضد الصواريخ ، حيث تصل تكلفة هذه الشبكات الى عشرة أضعاف تكلفة انشاء شبكات الصواريخ المهاجمة » .

ثانيا : الاستعداد لمواجهة الدول الكبرى التى تساند اسرائيل :

من المعروف أن أمريكا وانجلترا وفرنسا أصدرت عام ١٩٥٠ م تعهدا بضمان كيان دولة اسرائيل ، ولن تسكت هذه الدول على مجرد عزم الدول الاسلامية على حرب اسرائيل ، كما لن تسكت دول أخرى ضمن العداء لآى تجمع اسلامى ، كالاتحاد السوفيتى وإيطاليا وأسبانيا وغيرهما .

(٦١) تحقيق حسين فتح الله ، عن شبكة الدفاع الاسرائيلية ضد الصواريخ . جريدة الاهرام فى ١٢/٤/١٩٩١ ص ٩ .

- ٨٦ -

من هنا كان لابد أن يعد المسلمون - على المستوى الرسمى والمستوى الشعبى - الخطط لمواجهة كافة الدول التى ستساند اسرائيل . لابد من حصر مصالح كل دولة من الدول الأجنبية ، وحصر مصالح المسلمين كذلك فى تلك الدولة . بحيث يتم تدريجيا سحب مصالح المسلمين فى تلك الدول ، والاعتماد الذاتى على العالم الاسلامى ما أمكن . فاذا قامت الحرب مع اسرائيل وظهرت مساندة من دولة أجنبية لاسرائيل ، فيتسم على الفور ضرب كافة مصالح تلك الدولة الأجنبية فى العالم الاسلامى كله ، وفقا للخطط الموضوعة مسبقا .

ومن الناحية الحربية لا مصلحة للعالم الاسلامى فى محاربة الدول التى تساند اسرائيل ، لكن على كل دولة اسلامية من الآن أن تضع الخطط لاقامة مواقع حربية عديدة وتخزين أسلحتها فى الجبال أو تحت عمق مناسب فى الأرض ، ثم تجهز جيشها لتحويله فى الوقت المناسب الى كنانب ومجموعات من الفدائيين تأس معهم كافة الدول الكبرى فى أن تبقى لحظة فى أى أرض لدولة اسلامية .

ان المسلمين لا يرهبهم الموت ، لأنهم يؤمنون بأن الأعمار مقدرة عند الله ، ولا يرهبهم تدمير مدينة كالقاهرة مثلا أو عشر مدن مثلها بالقنابل النووية أو غيرها ، فلو حدث ذلك ، فقد نال أهلها الشهادة فى سبيل الله وفتحت لهم أبواب الجنة . ثم يتعين على المجاهدين المسلمين أن يأخذوا بالنار والردع ، فكل مدينة اسلامية تدمر ، يدمر المسلمون فى مقابلها مدينة أخرى تماثلها فى أوربا أو أمريكا . وتدمير تلك المدن لا يحتاج الى قنابل نووية ، وانما يحتاج الى مجموعات فدائية تدمر وسائل المدينة الحديثة فيها كمحطات الغاز الطبيعى والكهرباء والشلات وغيرها بما يؤدى الى تدمير المدينة كلها . ولا يرهب المسلمين أن يجتمع العالم كله ليحاربهم لأنهم واثقون من نصر الله ، وهو معهم الى يوم الدين . قال تعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل

لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين « (٦٢) .

« ان التحدى السافر الذى نقابل به الدول الغربية قضية فلسطين ، سواء بتسليحها لدولة العصابات أو بالدعاية الصاخبة التى تنشرها فى جميع أنحاء العالم ، أو بتأييد دعاويها الباطلة فى الأمم المتحدة وسائر المنظمات الدولية ، ليس له من تفسير الا الكراهية للاسلام ، والحق الذى يعتلج فى صدور القوم على المسلمين ، ولا سيما بعد انبعث دولة الاسلام من جديد ، وتفكير المسلمين فى رأب صدعهم ، ولم سعتهم ، وجمع كلمتهم ... » (٦٣) .

ثالثا : يجب انشاء الهياكل التنظيمية اللازمة لمعركة النصر الموعود .
وأهمها الآتى :

١ - صندوق النقد الاسلامى ، فمن الملاحظ أن الاستثمارات الاسلامية فى الغرب معرضة لمخاطر التجميد والتلاعب فى أسعار العملة وأسعار الذهب وسائر الأهم والسندات . فضلا عن أن هذه الاستثمارات تساعد على تقوية نفوذ دول الغرب بما يؤدى الى تحكمها فى البلاد الاسلامية كذلك من العار أن تساهم الدول الاسلامية مساهمة فعالة فى صندوق النقد الدولى ، بينما تسيطر الدول الاستعمارية الكبرى على ذلك الصندوق .

وقد آن للدول الاسلامية أن تستقل بمواردها ، وأن يعامل بعضها البعض الآخر وفق قواعد السوق فى اطار احكام الشريعة الاسلامية ، وأن يحترم كل منها موارد الأخرى بل ويحافظ عليها دون أطماع فيها . مع العمل بما يوجبه الاسلام من انشاء صندوق للزكاة وآخر للبر على مستوى

(٦٢) الآيات ١٣ - ١٧٥ سورة آل عمران .

(٦٣) عبد الله كنون فى مقاله المسلمون ومشكلة فلسطين - كتاب المؤتمر

الرابع لجمع البحوث الاسلامية - المرجع السابق ص ٣٦ .

العالم الاسلامى . ثم يتم الوفاء بالحقوق لأصحابها فى مواعييدها دون
مماطلة (٦٤) .

وبديهى أن يكون من أهم أهداف صندوق النقد الاسلامى تحقيق
التكامل الاقتصادى بين الدول الاسلامية فى مجالات الزراعة والتجارة
والصناعة وغيرها ، حتى تأمن شر الحاجة الى غيرها ولا تحاصر من
أعدائها بعقوبات اقتصادية ، كمنع قمح عنها أو سعى فى كساد تجارة
فيها ، أو حظر مصنوعات لها .

وكل معركة تحتاج الى سلاح ، فكان لابد من تدبير الأموال اللازمة
للصناعات الحربية وتطوير أبحاثها ، فالحق بغير قوة تحميه يضيع
مع هلاك مستحقه . وقد قال تعالى : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا
بأيديكم الى التهلكة » (٦٥) . فالتهلكة قرينة التقاعس عن الانفاق فى
سبيل الله . وكما تحتاج المعركة الى السلاح ، تحتاج الى مؤن للجيش
وخطوط مواصلات ورعاية للأسر المقاتلين والشهداء وغير ذلك من النفقات ،
فكان لابد من التخطيط لتوفير كافة الاحتياجات .

فما بالكم يا حكام المسلمين وقادتهم وأغنيائهم .

« ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فممنكم من يبخل ،
ومن يبخل فأنما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٦٦) .

ب - انشاء قوة ردع اسلامية مشتركة ومستقلة : تكون غايتها ردع
أية دولة اسلامية باغية ، وصد عدوان أية دولة غير اسلامية على أية دولة

(٦٤) انظر النظام الاقتصادى الاسلامى فى كتابنا دستور للأمة من
القرآن والسنة ط ١٩٨٩ بحد ٢٥ - ٣٧ .
ولا مانع ن تطوير البنك الاسلامى بمنظمة الدول الاسلامية ليكون
صندوق النقد الاسلامى .
(٦٥) من الآية ١٩٥ سورة البقرة .
(٦٦) الآية ٣٨ سورة محمد .

اسلامية ، وتحرير القدس واسترداد المسجد الأقصى .

أما الاستعانة بأمة دولة غير اسلامية لتحقيق شيء من ذلك فهو أمر محرم شرعا لما فيه من اتخاذ الكافرين أولياء . والمحرم لا يجوز الا لضرورة . ولا يقال ان الرسول صلى الله عليه وسلم استعان بغنبر المسلمين في مراحل مختلفة من جهاده ، فهذا قياس مع الفارق ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم استعان بغنبر المسلم ضد غير المسلم ، ولم يستعن قط بغنبر المسلم لردع مسلم .

ثم انظروا في الدول غير الاسلامية التي تستعينون بها : هل هي من الدول التي قاتلتنا من قبل في الدين ؟! ألا زالت وسائل اعلامها تطفح بكراهية الاسلام والمسلمين ؟! ألا تعمل أجهزة مخابراتها على اضعاف المسلمين ؟! ألا توجد لجان وأجهزة في حلف الاطلسنطى وفي الولايات المتحدة الامريكية تسعى لبقاء الكيان الاسرائيلي في فلسطين ، وأخرى تعمل لاجهاض كل قوة اسلامية متنامية ، بل وتسعى لهدم أركان الدين ؟!! .

لقد أفقت بعض الدول الاسلامية مئات المليارات من الدولارات على قوات غير اسلامية. في حرب الخليج ، وكان نصف هذه النفقات أو أقل كافيًا لإنشاء قوة الردع الاسلامية المقترحة بل واستمرار عملها بصفة دائمة . فاذا قصرتم في انشاء قوة الردع الاسلامية فلا نسألوا عن توافر حالة الضرورة التي تلجئكم للاستعانة بقوى أجنبية لا تضر لكم غير العداء ، ولا تتمنى لكم غير الذل والهوان .

رابعا : ادارة المعركة على أساس اسلامي :

لقد فرض القتال على المسلمين وهو كره لهم . ألا ترى الدول الاستعمارية قد زرعت اسرائيل في قلب العالم الاسلامي لتسند قواه ، وتدمر سلاحه وتفلس خزائنه وتشيع في مجتمعه الانحلال ، وتذله على

الدوام ؟! ومارس الاسرائيليون أفضح الجرائم وأخس الدسائس واستولوا على المسجد الأقصى وأحرقوا جانبا منه وها هم بصدد تدميره لأقامسة هيكل سليمان !

وكل من الدول الاستعمارية واسرائيل لم يواجه العالم الاسلامى الا على أساس الاحقاد الدينية . « ما شعر اللنبى » ببذرة خجل عندما دخل القدس وهو يقول : « الآن انتهت الحروب الصليبية » وما شعر « جيرو » بأفل حياء وهو يقول عندما دخل دمشق أمام قبر صلاح الدين : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » (٦٧) . وما جمع هرتزل اليهود فى مؤتمر بال الا على أساس العودة الى الأرض المقدسة . وما زرعت السـدول الاستعمارية اسرائيل فى قلب العالم الاسلامى الا لاضعاف المد الاسلامى ، وما أبقى الغرب حلف الاطلنطى بعد زوال الخطر الشيوعى الا لمواجهة العالم الاسلامى !! .

الحرب فى حقيقتها حرب دينية من جانب أعدائنا ، وصحافتهم ومفكرهم لا يخفون ذلك ، بل يصرحون به . بينما يتحرج العرب من الانتماء الاسلامى ، بل يحارب بعضهم كافة الانتماءات الاسلامبة دون تفرقة بين من كان على حق ومن كان على باطل . كما تبطىء السـدول الاسلامية الأخرى فى الالتحام بالعرب فى معركة النصر الموعود . معركة استرداد المسجد الأقصى من براثن اليهود . « ولبدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » .

ان المسجد الأقصى ليس مسجد الفلسطينيين فحسب وليس مسجد العرب وحدهم ، وانما هو مسجد المسلمين جميعا ، أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦٧) محمد الغزالى فى مقاله هذا ديننا بجريده الشعب عدد ٢٣ يوليو ١٩٩١ الصفحة الأخيرة .

وما عاد المسلمون الى دبتهم ، وتوحدوا تحت رايته ، الا حقى الله لهم النصر . ألا ترى أن المسلمين استعادوا القدس من قبل من الصليبيين بقبادة صلاح الدين ، ومن التار بقبادة قطز !! .

ولقد حسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر ، فأوضح أن النصر لن يكتب الا بادرة المعركة على أساس اسلامى . نأمل كدف يصور رسول الله صلى الله عليه وسلم هزيمة اليهود فى النصر الموعود فى حديثه « حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » (٦٨) فالحجر لا يقول يا عربى ، ولا يا ايرانى ، ولا يا باكستانى ، ولا يا مصرى ولا يا سورى ولا يا عرافى ، وانما يقول « يا مسلم » فلا القومية العربية ستكون سبب النصر ، ولا الانتماءات الوطنية تصلح للمعركة ، وانما الاسلام وحده هو الذى بجمع الله به أكثر من ألف مليون مسلم لمعركة النصر ، وبه تحشد كافة طاقات الدول الاسلامية .

ان الله عز وجل فى سورة الزاخرة قسم عناه الى مجموعات ثلاث : السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال . وذكر سبحانه أن السابقين المقربين « ثلثة من الأولين . وقتل من الآخرين » (٦٩) والمقربون الأولون منهم الأنبياء ومنهم الصديقون والشهداء ومنهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين جاهدوا معه ووعدهم الله بملك كسرى وقيصر ، وصدق وعده وأعز حنده ، فهزموا الفرس والروم وهم فى الدنيا زاهدون ، لا يبتغون غير اعلاء كلمة الله ، « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » وأن يسود الحق والعدل سائر أرجاء الأرض . وما احسب المحاهدين فى عصرنا الحاضر لفتح المسجد الأقصى الا من المقربين الذين ذكرهم الله عز وجل بأنهم « قليل من الآخرين » هؤلاء يرفعهم الله عز وجل فى رضوانه الى مصاف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدليل

(٦٨) وسن بيان هذا الحديث - راجع بند ١٤ فيما سبق .
(٦٩) الآيتان ١٣ و ١٤ سورة الزاخرة .

قوله تعالى : « وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » (٧٠) . فقد
ساواهم بمن دخلوا المسجد أول مرة وهم صحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ورضى الله عنهم ورضوا عنه . وهم يقاتلون اليوم أخطارا
كأخطار امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم ، وقد وعدهم الله النصر
كما وعد صحابة رسوله صلى الله عليه وسلم « وليتبروا ما علو تتبيرا » .

أخى المسلم . من منا لا يتوق الى أن يرفعه الله تبارك وتعالى الى
مصاف السابقين المقربين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

طوبى لمن كتب الله له النصر أو الشهادة فى جهاده لتحرير فلسطين
واسترداد المسجد الأقصى .

أخى المسلم : من منا يسكت على الفساد العالمى لعبدة العجل من
اليهود ، ومن منا يسكت على طغيان وغطرسة الدول الاستعمارية .

أخى جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد وحق الفدا
وليسوا بغير (أزيز الصواريخ)
يجيئون صوتا لنا أو صدى .

أخى المسلم

حى على الفلاح
حى على الجهاد فى سبيل الله .

- ٩٣ -

الفهرس

بند الموضوع صفحة

الفصل الأول

اليهود المغضوب عليهم

- ١ - اليهود الاسرائيليون ٥
- ٢ - جحدوا نعم الله ٠٠ ٧
- ٣ - لا شعب مختار عند الله ، معنى تفضيلهم على العالمين ١٤
- ٤ - وعثوا فى الأرض مفسدين ١٨
- ٥ - سوء العذاب للعصاة من بنى اسرائيل ٢٧

الفصل الثانى

العجلان معبودا بنى اسرائيل

- ٦ - حذار أيها الاسرائيليون ٣١
- ٧ - ماذا صنعت بكم أطماعكم وموسى بينكم ؟ ٣٤
- ٨ - هلا تذكرتم أسباب عبادة أجدادكم عجل السامرى ؟ ٣٦
- ٩ - دولة اسرائيل عجل جديد له ضجيج ٣٨
- ١٠ - لقد فنل معكم كل المصلحين ٤٢
- ١١ - احراق عجل السامرى ونسفه فى البم ايدان بتدمير دولة اسرائيل ٤٤

الفصل الثالث

تتبير دولة اسرائيل

- ١٢ - اسنعمار الصهاينة فلسطين ٤٧
- ١٣ - هرنزل السامرى الجديد ٥٥

- ٩٤ -

صفحة	الموضوع	بند
٥٩	١٤ - أحداث العصر الحاضر فى القرآن ، وبشراه بالنصر	
٧٣	١٥ - اسرائيل لا تريد السلام	
٧٨	١٦ - الدول الاستعمارية لا تريد السلام فى الشرق الأوسط	
٨٢	١٧ - خطوات النصر	
	أ - الاستعداد لحرب الصواريخ .	
	ب - الاستعداد لمواجهة الدول التى تساند اسرائيل .	
	ج - انشاء الهياكل التنظيمية اللازمة لمعركة النصر .	
	د - ادارة المعركة على أساس اسلامى .	
٩٣	فهرس	
	(تم بعمون الله تعالى وفضله وتوفيقه وحمده)	

للمؤلف

- ١ - مدخل لدراسة القانون وتطبيق الشريعة الاسلامية ط ١٩٧٧ م .
- ٢ - الوجيز فى تاريخ القانون ج ١ سنة ١٩٧٠ م و ج ٢ سنة ١٩٧١ م .
- ٣ - مصادر الالتزام ط ١٩٩١ م .
- ٤ - الاجل فى الالتزام ط ٢ سنة ١٩٧٤ م .
- ٥ - شرح أحكام البيع ط ١٩٨٤ م .
- ٦ - شرح أحكام الايجار فى القانون المدنى وفانون ايجار الاماكن ط ٣ سنة ١٩٩٠ م .
- ٧ - نمليك التقق والطبقات ط ٢ سنة ١٩٩٠ م .
- ٨ - حكم التامين التجارى فى الشريعة الاسلامية ط ١٩٨٢ م .
- ٩ - شرح أحكام قانون العمل ط ١٩٨٩ م .
- ١٠ - انبات الملكة بالحبازة وبالوصبة فى قضاء محكمة النقض المصرية ط ١٩٧٨ م .
- ١١ - شرح أحكام حق الملكية ط ١٩٩٠ م .
- ١٢ - التامينات العينية ط ١٩٧٩ م .
- ١٣ - خطبة النساء ط ٢ - سنة ١٩٨٧ م .
- ١٤ - تعدد الزوجات ط ٥ - سنة ١٩٨٨ م .
- ١٥ - أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ط ٦ - سنة ١٩٨٨ م .
- ١٦ - الأسرة وقانون الاحوال الشخصية رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ ط ١٩٨٥ م .
- ١٧ - الملك جل جلاله . ط دار الشعب ١٩٧٥ م .
- ١٨ - دستور للامة وعلوم السنة ط ١٩٨٧ م . (فاز بجائزة الدولة التشجيعية) .
- ١٩ - دستور للامة من القرآن والسنة ط ١٩٨٩ م .

رقم الايداع : ١٩٩١/٧١١٥
الترقيم الدولى : ٣ - ١٩٠٠ - ٠٠ - ٩٧٧

مؤسسة البستانى للطباعة
٦ ش البرماوى - حدائق القبة - القاهرة

● قديما افقتن بنو اسرائيل بعجل جسد له خوار ، صنعه لهم
السامري ، فعبدوه من دون الله عز وجل . وحديثا افقتن الصهاينة
بعجل جديد له ضجيج أسموه دولة اسرائيل ، أصبح معبودهم الثمين .

● عميت أبصار اليهود فهاجروا من بلاد عاشوا فيها في
استقرار وهناء ، الى فلسطين حيث لا يجدون غير القلق والشقاء .

● يؤكد القرآن أننا نعيش الآن عصر الافساد العالمي الثاني
والأخير لبنى اسرائيل ، وأن الاسرائيليين عندما يعلنون على أنقاض
المسجد الأقصى ، يأتي وعد الله للمسلمين بالنصر . « فإذا جاء وعد
الآخرة ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة
وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

● في كل هدنة أو معاهدة سلام مهما كانت التنازلات ، تنقض
اسرائيل كافة العهود والمواثيق ، أيا كانت الضمانات .

● هدف اسرائيل والدول الاستعمارية تدمير أسلحة الدول
الاسلامية واستنزاف مواردها وافلاس خزائنها وانحلال مجتمعاتها
واذلالها على الدوام .

● الاستعداد لحرب الصواريخ ، وانشاء صندوق نقد اسلامي
وقوة ردع اسلامية مشتركة

● حسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر ، فأوضح أن
النصر لن يكتب الا بادرارة المعركة على أساس اسلامي .

الثلثون ٢٥٠ قرشا

